مجلة بـادر

العدد 10 ، يونيو، 2026

https://padirjournal.com

ISSN 3023-6231

البواعث النفسية للاستجابة للهدى الإلهي في ضوء القرآن (دراسة تأصيلية) [1]

اسم الطالبة/ سهيلة مساعد بشير علي

كلية علم النفس الإسلامي، إسطنبول، تركيا.

المستخلص:

هدفت الدراسة لمعرفة البواعث النفسية للاستجابة للهدى الإلهي في ضوء القرآن الكريم، معتمدة الباحثة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي في الإجابة على مشكلة الدراسة، واعتمدت الباحثة على عشرين سورة قرآنية كعينة للبحث، مستخدمة أداة التحليل وأداة الاستنباط، وتوصلت الباحثة للنتائج التالية: وجود ارتباط قوي بين البواعث النفسية وقوة الاستجابة وذلك بأنه كلما كانت البواعث في نفس قوية مع العمل على اكتسابها كانت الاستجابة أسرع.، وركزت نتائج الدراسة أيضا على أن هنالك أنواع مختلفة للاستجابة ما بين سرعة وتأخر وبين تردد وامتناع، وأن في القرآن استجابات فردية وجماعية.، ومنها أن هنالك عوامل تعمل على تعدد تلك الاستجابات، وهي ما أطلقت عليها الباحثة بالبواعث النفسية ومعوقات الاستجابة، ثم عند النظر إلى القرآن الكريم نجد أنه يحتوي على أصول ومبادئ نفسية متكاملة لبناء النفوس، فهو ليس كتاب أحكام وتشريعات فقط بل كتاب هداية وتربية نفسية، ثم خرجت ببعض التوصيات ومن أهمها العمل على زيادة استنباط بواعث نفسية تؤثر في الاستجابة من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: البواعث النفسية، الهدى الالهي، القرآن الكريم، علم النفس الإسلامي، الاستجابة

Abstract

The study aimed to identify the psychological motives for responding to divine guidance in the light of the Holy Qur'an. The researcher adopted the inductive–deductive method to address the research problem. Twenty Qur'anic chapters were selected as the study sample, using analysis and deduction as research tools. The researcher reached the following results: there is a strong correlation between psychological motives and the strength of response, such that the stronger the motives in the self, and the more one works to acquire them, the faster the response becomes. The results also emphasized that there are different types of responses, ranging from quickness and delay to hesitation and refusal, and that the Qur'an includes both individual and collective responses. It was also found that there are factors that lead to the multiplicity of such responses, which the researcher termed psychological motives and obstacles to response. Moreover, when considering the Qur'an, it becomes clear that it contains comprehensive psychological principles and foundations for building the human soul, as it is not merely a book of rulings and legislation but also a book of guidance and psychological upbringing. The study concluded with some recommendations, the most important of which is the need to further derive psychological motives from the Qur'an that influence the response.

Keywords: Psychological motives, divine guidance, the Holy Quran, Islamic psychology, response

[1] بحث تكميلي مقدم لنيل درجة البكالوريوس في علم النفس الإسلامي

اسم الطالبة/ سهيلة مساعد بشير علي، اسم المشرف/ الدكتورة- بخيتة محمد زين علي محمد، للعام 1447هـ -2025م

© 2026. This is an open-access article under the CC by license http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

الفصل الأول: الإطار العام

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يدرس علم النفس السلوك الإنساني الذي هو نتاج لتفاعل مثيرات خارجية مع ما لدى الإنسان من دوافع واستعدادات داخلية، وتخلق هذه الدوافع تباينا في الاستجابات من حيث حدوثها أو امتناعها، تنبئ عن وجود عوامل كامنة ورائها، وتعرف بالبواعث النفسية المؤثرة لاستجابة الفرد.

ومن أشرف وأهم هذه الاستجابات التي يسعى الفرد لتحقيقها ويدرب نفسه عليها هي الاستجابة للهدى الإلهي، الذي به يتم تحقيق أهم غرض لوجوده في الأرض وهي العبودية والخضوع لله عز وجل.

ويعتبر القرآن الكريم مصدرا ثريا في تحليل النفس الإنسانية وأساسيا في بيان أسباب القبول أو الإعراض عن الحق، إذ أنه يبرز أهم سمات هذه النفس وأحوالها، فيخبر الله عز وجل مثلا عن أحوال قلوب الذين يسارعون في الطاعة قال تعالى: "إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَت عَلَيۡهِم آيَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ" (الأنفال: 2)، وعلى النقيض الآخر يصف القلوب المعرضة: " فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ " (الحج 46)، كما يعرض القرآن الكثير من المفاهيم المركزية كالقلب السليم والفطرة النقية التي تعتبر من المحفزات التي تهيء الإنسان للاستجابة للهدي الإلهي.

ومن هذا المنطلق تسعى الباحثة إلى استقراء البواعث النفسية المؤثرة في الاستجابة للهدي الإلهي، مستعينة بذلك بنصوص القرآن الكريم لمحاولة ربط ذلك بالبناء النفسي للمؤمن.

مشكلة البحث:

رغم وضوح الهدي الالهي إلا أن استجابة الأفراد لهذا الهدي تتفاوت بين من يسرع إليه بقلب منيب ومن يعرض عنه بقلب غافل، مما يدفع الباحثة لمعرفة البواعث النفسية الكامنة وراء تلك الاستجابات وكيف ربط القرآن الكريم بين هذه البواعث واستجابة الأفراد. ومن هنا جاءت هذه التساؤلات:

أسئلة البحث:

1. ما المقصود بالبواعث النفسية؟ وما أنواعها في ضوء القرآن الكريم؟
2. ما هي مفردات الاستجابة في القرآن الكريم؟
3. ما هي أنواع الاستجابة كما صورتها آيات القرآن الكريم؟
4. ما دور القلب السليم والفطرة السوية في تلقي الهدي الالهي؟
5. ما الذي يجعل بعض الأفراد يسارعون في الاستجابة بينما يعرض غيرهم؟

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم البواعث النفسية في ضوء القرآن الكريم.
2. الوقوف على أنواع الاستجابة للهدي الإلهي.
3. التعرف على العوامل التي تسرع أو تمنع الاستجابة.

أهمية البحث:

تأخذه الباحثة من ناحيتين:

من الناحية النظرية:

1. يسهم البحث في تأصيل المفهوم القرآني للاستجابة للهدي الالهي.
2. يبرز البحث البواعث النفسية المحركة للاستجابة كما عرضها القرآن الكريم.
3. إثراء الدراسات النفسية الإسلامية ومد المكتبات بما هو جديد.

من الناحية التطبيقية:

1. يعين على اكتشاف المعوقات النفسية للاستجابة.
2. يوفر البحث خطوات عملية لبناء نفس مستجيبة للهدي الألهي مما يمكن تطويره بأن يكون أداة فاعلة في الارشاد النفسي.

أسباب اختيار الموضوع:

ذاتية: الاهتمام الشخصي لدى الباحثة بقضايا الايمان والاستجابة وتأثيرهما في النفس الإنسانية وكثيرا ما تسوقها الآيات المتعلقة بالاستجابات في القرآن الكريم، مثل استجابة سحرة فرعون مع التساؤل الدائم ما الذي دفعهم الى تلك الحالة.

موضوعية:

1. الرغبة في ربط العلوم الشرعية بالعلوم النفسية وذلك لقلة الدراسات التي تتناول موضوع البواعث النفسية بشكل تحليلي.
2. الحاجة الملحة للنجاة بالمجتمعات الإسلامية من براثن الجهل والبعد عن الهدي الالهي.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة البواعث النفسية للاستجابة للهدى الإلهي في ضوء الآيات القرآنية التي وردت فيها مظاهر الاستجابة، وينتهج البحث أسلوبا تأصيليا تحليلا يستقرئ الآيات ويستنبط منها المعاني ذات الصلة بالاستجابة.

لا يتقيد البحث بحدود زمانية ولا مكانية محددة، نظرا لطبيعة الموضوع القائم على الدراسة التأصيلية من النصوص القرآنية التي تتجاوز الزمان والمكان، وتركز على الجانب المعرفي والنفسي في خطاب الوحي للإنسان.

الفرضيات:

1. يوجد ارتباط بين البواعث النفسية وقوة الاستجابة.
2. توجد عدة أنواع للاستجابة للهدي الإلهي.
3. يوجد تباين بين العوامل التي تسرع أو تمنع من الاستجابة.
4. يوجد في القرآن الكريم ما يعين على بناء النفوس.

مصطلحات البحث:

البواعث: لغة: جمع باعث وفي أصلها باء وعين وثاء، بمعنى الإثارة[1] (ابن فارس 1399هه 366/1) والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال، كقوله تعالى: ثم بعثنا من بعدهم موسى؛ معناه أرسلنا. والبعث: إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار[2] (ابن منظور 1414هـ: 117/2)

اصطلاحا: لم تقف الباحثة لتعريف البواعث بنفس المسمى، ولكن يوجد مرادفات لها كالدوافع والمحركات.

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبدالسلام محمد هارون، دط،1399، دار الفكر.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ط(3) 1414هـ، دار صادر: بيروت.

الدوافع هي القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي وتبدئ السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة، والدوافع تؤدي وظائف ضرورية وهامة للكائن الحي، فهي التي تدفعه إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمفيدة له في توافقه.[1] (نجاتي 2001م:27)

النفسية:

لغة: من النفس، والنفس في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك خرجت نفس فلان أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في روعه، والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته.[2](ابن منظور1414هـ: 233/6)

اصطلاحا: هي مجموع الفرد وتتألف من جميع الصفات المميزة، واعية وغير واعية، وعقلية وجسدية، بصرف النظر عن مرجعيته الأساسية للهوية الشخصية، والوجود والخبرة المتراكمة[3] (محمد مصطفى 2023م: 37)

وعليه يمكن القول بأن البواعث النفسية هي: عوامل نفسية تنبع من داخل الإنسان تدفعه إلى الفعل أو الترك وتؤثر في مدى استجابته أو رفضه لأمر ما.

الاستجابة:

لغة: من جوب، والفعل أجاب يجيب، ومصدرها إجابة بمعنى الطاعة[4] (الهروي 2001م: 149/11)

اصطلاحا: هي التصرف الذي نقوم به بعد التعرض لمثير، وقد تكون داخلية أو خارجية.

الهدي الإلهي:

لغة: من هدى يهدي، وتأتي بمعنى التقدم للإرشاد، وهُدى: خلاف الضلالة[5] (ابن فارس 1399هـ: 42/6)

اصطلاحا: هو كل ما أنزله الله من الكتب وما أرسله مع الرسل ليبين به لعباده طريق الحق وما يعينهم على اتباعه.

وعليه يمكن القول بأن الاستجابة للهدي الإلهي هي: رغبة الفرد وإقباله على كل ما جاء من الله عز وجل على وجه التسليم والرضا، تحركه في ذلك بواعث داخلية تدفعه للامتثال من غير إكراه أو تردد، مع الاستمرار على ذلك بإرادة صادقة رغبة في القرب من الله عز وجل مما يقوده إلى بناء نفس متزنة مطمئنة.

القرآن الكريم:

لغة: من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، ومعنى القرآن: الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها.[6] (ابن منظور 1414هـ: 128/1).

اصطلاحا: القرآن هو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محمد بن عبد الله بألفاظه العربية ومعانيه الحقة، ليكون حجة للرسول على أنه رسول الله ودستورا للناس يهتدون بهداه، وقربة يتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا عن جيل، محفوظا من أي تغيير أو تبديل[7] (خلاف :23)

---

[1] عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، ط(7) 2001م، دار الشروق: القاهرة.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق.

[3] محمد مصطفى: المدخل إلى علم النفس الإسلامي: ط(1) 2023م، مكتبة الأسرة العربية: اسطنبول.

[4] أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط(1) 2001م، دار إحياء التراث العربي: بيروت

[5] ابن فارس: مقاييس اللغة، مرجع سابق.

[6] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق.

[7] عبدالوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ط(8) د.ت، مكتبة الدعوة – شباب الأزهر.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: البواعث النفسية مفهوم وتأصيل:

تمهيد:

خلق الله عز وجل الإنسان من أجل غاية أساسية وتتبعها غايات أخرى، وأودع في نفس هذا الإنسان مكنونات تدفعه إلى تحقيقها، بل وهيأ له الكون بما فيه وأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل هذا الغاية.

وإن من أهم الوسائل المعينة لدراسة وفهم تلك المكنونات والبواعث هو القرآن الكريم لما يتصف به من شمول قال تعالى: {وَنَزَّلنَا عَلَيكَ ٱلكِتَٰبَ تِبيَٰنا لِّكُلِّ شَيءٖ وَهُدى وَرَحمَة وَبُشرَىٰ لِلمُسلِمِينَ ٨٩} (النَّحل:89) كما أن الله عز وجل قد صرف في هذا القرآن وبين فيه بمختلف الصور والامثال ما يدعو إلى الهداية، بل نجد في القرآن الكريم وصف شامل للإنسان صفاته الجسدية والنفسية، سلوكه وأفكاره، تعامله في الحياة والمواقف.

ومع كل ذلك تختلف الناس في الاستجابة لهذا القرآن وما فيه من هدي بين مسرع ومتباطئ وممتنع، ونحن في هذا الصدد لا نتحدث عن الهداية والضلال من منظورها الشامل فقد قال الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِٱلمُهتَدِينَ ٥٦} (القَصَص:56) .

تحاول الباحثة البحث عن أسباب اختلاف تلك الاستجابات، والأمور التي عالجها القرآن بحيث يجعل هذه الأنفس تستجيب من خلال الوقوف على آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن صفات الجماعات أو الأفراد واستجابتهم من أجل استنباط الباعث النفسي المشترك بينهم.

أولا: الدلالة اللغوية:

البواعث: لغة: جمع باعث وفي أصلها باء وعين وثاء، بمعنى الإثارة[1] (ابن فارس 1399هـ: 366/1) والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال، كقوله تعالى: ثم بعثنا من بعدهم موسى؛ معناه أرسلنا. والبعث: إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار[2] (ابن منظور 1414هـ: 117/2).

وبعد العودة لعدة قواميس تبين أن اللفظة تدل على إثارة الشيء وتوجيهه(الحركة)، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

الأمر إلهي: إرسال الرسل من أجل التوجيه قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلأُمِّيِّنَ رَسُولا مِّنهُم يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتَٰبَ وَٱلحِكمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبلُ لَفِي ضَلَٰل مُّبِين ٢} (الجُمُعَة:2)، البعث من الموت وفيه حركة وخروج قال تعالى: {وَٱلمَوتَىٰ يَبعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيهِ يُرجَعُونَ ٣٦} (الأنعام: 36).

أمر بشري: إما يدل على حركة خارجية: بعث الراحلة حركتها وبعث الجند توجيههم، أو حركة داخلية: الاندفاع لفعل الشيء.

فجميع المعاني تدل على أنها علاقة تحول أو حركة من شيء إلى شيء بأسباب إلهية أو بشرية تنبع من الداخل أو الخارج.

لفظة بعث في القرآن الكريم:

قال تعالى: {لَقَد مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلمُؤمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِمرَسُولا مِّن أَنفُسِهِم يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتَٰبَ وَٱلحِكمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبلُ لَفِي ضَلَٰل مُّبِينٍ ١٦٤} (ال عِمرَان: 164)

إن للفظة المنة دلالة قوية على أن الله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر بل يحب لهم الخير ومن كمال تلك المحبة والرحمة والشفقة لم يترك خلقه هملا، بل أرسل له رسولا على مر الأزمان، رسولا من جنسه يفهمه ويعرف حاجاته، لا يريد منهم

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: مرجع سابق.

[2] ابن منظور: لسان العرب: مرجع سابق.

أجرا إلا إخراجه من الضلال والظلمات إلى تحقيق الغاية الأساسية، وكل ذلك من خلال عملية التعلم بالآيات الواضحات التي تعمل على تزكية نفوسهم وتربيتها ورفعتها وتطهيرها وتنظيم حياته ومجتمعه بنظام شامل متكامل. ونجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تؤكد هذه الفكرة.

يقول الطاهر عاشور(1984م) المن هنا إسداء المنة أي النعمة، والمراد بالمؤمنين هنا المؤمنون يومئذ وهم الذين كانوا مع النبيء صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق وهو قوله: إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي من أمتهم العربية، ومعنى من أنفسهم المماثلة لهم في الأشياء التي تكون المماثلة فيها سببا لقوة التواصل، وهي هنا النسب، واللغة، والوطن. والعرب تقول: فلان من بني فلان من أنفسهم، أي من صميمهم ليس انتسابه إليهم بولاء أو لصق، وكأنه هذا وجه إطلاق النفس عليه التي هي في معنى المماثلة، فكونه من أهل نسبهم أي كونه عربيا يوجب أنسهم به والركون إليه وعدم الاستيحاش منه، وكونه يتكلم بلسانهم يجعلهم سريعين إلى فهم ما يجيء به، وكونه جارا لهم وربيا فيهم يعجل لهم التصديق برسالته، إذ يكونون قد خبروا أمره، وعلموا فضله، وشاهدوا استقامته ومعجزاته. وعن النقاش، وقوله: يتلوا عليهم آياته أي يقرأ عليهم القرآن، وسميت جمل القرآن آيات لأن كل واحدة منها دليل على صدق الرسول من حيث بلاغة اللفظ وكمال المعنى، والتزكية: التطهير، أي يطهر النفوس بهدي الإسلام. وتعليم الكتاب هو تبيين مقاصد القرآن وأمرهم بحفظ ألفاظه، لتكون معانيه حاضرة عندهم والمراد بالحكمة ما اشتملت عليه الشريعة من تهذيب الأخلاق وتقنين الأحكام لأن ذلك كله مانع للأنفس من سوء الحال واختلال النظام، وذلك من معنى الحكمة.[1] (الطاهر عاشور 1984م: 4 /159).

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: البواعث النفسية مفهوم وتأصيل:

تمهيد:

خلق الله عز وجل الإنسان من أجل غاية أساسية وتتبعها غايات أخرى، وأودع في نفس هذا الإنسان مكنونات تدفعه إلى تحقيقها، بل وهيأ له الكون بما فيه وأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل هذا الغاية.

وإن من أهم الوسائل المعينة لدراسة وفهم تلك المكنونات والبواعث هو القرآن الكريم لما يتصف به من شمول قال تعالى: {وَنَزَّلنَا عَلَيكَ ٱلكِتَٰبَ تِبيَٰنا لِّكُلِّ شَيءٖ وَهُدى وَرَحمَة وَبُشرَىٰ لِلمُسلِمِينَ ٨٩} (النَّحل:89) كما أن الله عز وجل قد صرف في هذا القرآن وبين فيه بمختلف الصور والامثال ما يدعو إلى الهداية، بل نجد في القرآن الكريم وصف شامل للإنسان صفاته الجسدية والنفسية، سلوكه وأفكاره، تعامله في الحياة والمواقف.

ومع كل ذلك تختلف الناس في الاستجابة لهذا القرآن وما فيه من هدي بين مسرع ومتباطئ وممتنع، ونحن في هذا الصدد لا نتحدث عن الهداية والضلال من منظورها الشامل فقد قال الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِٱلمُهتَدِينَ ٥٦} (القَصَص:56) .

تحاول الباحثة البحث عن أسباب اختلاف تلك الاستجابات، والأمور التي عالجها القرآن بحيث يجعل هذه الأنفس تستجيب من خلال الوقوف على آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن صفات الجماعات أو الأفراد واستجابتهم من أجل استنباط الباعث النفسي المشترك بينهم.

[1] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير، د.ط 1984، الدرار التونسية للنشر: تونس.

أولا: الدلالة اللغوية:

البواعث: لغة: جمع باعث وفي أصلها باء وعين وثاء، بمعنى الإثارة[1] (ابن فارس 1399هـ: 366/1) والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال، كقوله تعالى: ثم بعثنا من بعدهم موسى؛ معناه أرسلنا. والبعث: إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار[2] (ابن منظور 1414هـ: 117/2).

وبعد العودة لعدة قواميس تبين أن اللفظة تدل على إثارة الشيء وتوجيهه(الحركة)، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

الأمر إلهي: إرسال الرسل من أجل التوجيه قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولا مِّنۡهُم يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢} (الجُمُعَة:2)، البعث من الموت وفيه حركة وخروج قال تعالى: {وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٣٦} (الأَنعَام: 36).

أمر بشري: إما يدل على حركة خارجية: بعث الراحلة حركتها وبعث الجند توجيههم، أو حركة داخلية: الاندفاع لفعل الشيء.

فجميع المعاني تدل على أنها علاقة تحول أو حركة من شيء إلى شيء بأسباب إلهية أو بشرية تنبع من الداخل أو الخارج.

لفظة بعث في القرآن الكريم:

قال تعالى: {لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤} (ال عِمرَان: 164)

إن للفظة المنة دلالة قوية على أن الله عز وجل لا يرضى لعباده الكفر بل يحب لهم الخير ومن كمال تلك المحبة والرحمة والشفقة لم يترك خلقه هملا، بل أرسل له رسولا على مر الأزمان، رسولا من جنسه يفهمه ويعرف حاجاته، لا يريد منهم أجرا إلا إخراجه من الضلال والظلمات إلى تحقيق الغاية الأساسية، وكل ذلك من خلال عملية التعلم بالآيات الواضحات التي تعمل على تزكية نفوسهم وتربيتها ورفعتها وتطهيرها وتنظيم حياته ومجتمعه بنظام شامل متكامل. ونجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تؤكد هذه الفكرة.

يقول الطاهر عاشور(1984م) المن هنا إسداء المنة أي النعمة، والمراد بالمؤمنين هنا المؤمنون يومئذ وهم الذين كانوا مع النبيء صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق وهو قوله: إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي من أمتهم العربية، ومعنى من أنفسهم المماثلة لهم في الأشياء التي تكون المماثلة فيها سببا لقوة التواصل، وهي هنا النسب، واللغة، والوطن. والعرب تقول: فلان من بني فلان من أنفسهم، أي من صميمهم ليس انتسابه إليهم بولاء أو لصق، وكأنه هذا وجه إطلاق النفس عليه التي هي في معنى المماثلة، فكونه من أهل نسبهم أي كونه عربيا يوجب أنسهم به والركون إليه وعدم الاستيحاش منه، وكونه يتكلم بلسانهم يجعلهم سريعين إلى فهم ما يجيء به، وكونه جارا لهم وربيا فيهم يعجل لهم التصديق برسالته، إذ يكونون قد خبروا أمره، وعلموا فضله، وشاهدوا استقامته ومعجزاته. وعن النقاش، وقوله: يتلوا عليهم آياته أي يقرأ عليهم القرآن، وسميت جمل القرآن آيات لأن كل واحدة منها دليل على صدق الرسول من حيث بلاغة اللفظ وكمال المعنى، والتزكية: التطهير، أي يطهر النفوس بهدي الإسلام. وتعليم الكتاب هو تبيين مقاصد القرآن وأمرهم بحفظ ألفاظه، لتكون معانيه حاضرة عندهم والمراد بالحكمة ما اشتملت عليه الشريعة من تهذيب الأخلاق وتقنين الأحكام لأن ذلك كله مانع للأنفس من سوء الحال واختلال النظام، وذلك من معنى الحكمة.[3] (الطاهر عاشور 1984م: 4 /159).

---

[1] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: مرجع سابق.

[2] ابن منظور: لسان العرب: مرجع سابق.

[3] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير، د.ط 1984، الدرار التونسية للنشر: تونس.

ثانيا: البواعث في السياق القرآني:

التمهيد:

القرآن الكريم هو الآية الخالدة التي عجز البشر عن الإتيان بمثله، وإن من أهم خصائص القرآن الكريم شموله لكل ما يحتاج له العباد، فهو الموضح والمبين والمرشد.

وجاء القرآن الكريم مخاطبا النفوس على اختلافها بصور متعددة، بكل ما فيه نفعهم في الدارين ورسم لهم طريق الهداية، ومن هذه الصور القرآنية البواعث التي تدفع النفوس إلى الاستجابة لربهم.

وقد اختارت الباحثة ثلاثة أنواع من هذه البواعث للتناولها بشيء من التفصيل من خلال دراسة الآيات القرآنية والمحاولة للاستنباط منها وهي الباعث الفطري والباعث المعرفي والباعث الإنفعالي.

الباعث الفطري:

المدلول اللغوي للفظة للفطرة:

يقول الخليل بن أحمد: فَطَر اللهُ الخَلْق أي: خَلَقَهم، وابتدأَ صَنْعة الأشياء، وهو فاطرُ السّماواتِ والأرض. والفِطرة: التي طُبِعَتْ عليها الخليقة من الدّين. فَطَرَهُمُ الله على معرفته برُبُوبيّته[1].(الخليل بن أحمد: 418/7) وفي مقاييس اللغة: الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه. والفطرة: الخلقة[2].(ابن فارس 1399هـ: 510/4) وفي لسان العرب: فطَّرَه: شَقَّهُ. والفِطْرةُ: مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الخلقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ[3]. (ابن منظور1414هـ: 5/ 55-56)

والخلاصة ما قاله الأصفهاني:(1412هـ) فَطَرَ الله الخلق، وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال، فقوله: فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، فإشارة منه تعالى إلى ما فَطَرَ. أي: أبدع وركز في النّاس من معرفته تعالى، وفِطْرَةُ الله: هي ما ركز فيه من قوّته على معرفة الإيمان، وهو المشار إليه بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [4].(الأصفهاني 1412هـ: 640)

الفطرة في السياق القرأني:

بعد النظر إلى آيات القرآن الكريم بعد جمعها نجدها تقرر عدة مسائل في الفطرة:

أن الله عز وجل منذ أن الخلق أودع في نفوسهم حاجة لركن يلجأ إليه عند المصاعب، حاجة للأمان النفسي عند وقوعه في المصائب، وهذا نجده في الآيات التي وصف الله بها عز وجل المشركين والكفار عندما يمسهم الضر في أكثر من خمسة مواضع منها على سبيل المثال، {وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوج كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُم إِلَى ٱلَرِّ فَمِنهُم مُّقتَصِد وَمَا يَجحَدُ بِـَٔايَٰتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّار كَفُور ٣٢} (لُقمَان:32) وقوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَٰنَ ضُرّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعمَةٗ مِّنهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدعُواْ إِلَيهِ مِن قَبلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُل تَمَتَّع بِكُفرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِن أَصحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨} (الزُّمَر:8) ومنها أن المشركين بفطرتهم وبما لديهم من ملكات أقروا بالله عز وجل وبربوبيته ونجد هذا الأمر موجود بكثرة في ثنايا القرآن، قال تعالى: {قُل لِّمَنِ ٱلأَرضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُم تَعلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُل أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُل مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبعِ وَرَبُّ ٱلعَرشِ ٱلعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُل أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُل مَن بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيهِ إِن كُنتُم تَعلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُل فَأَنَّىٰ تُسحَرُونَ ٨٩} (المؤمنُون: 84-89) وغيرها من الآيات التي قرر الله بها المشركين على وجوده.

---

[1] الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرئي، د.ط/د.ت/ دار ومكتبة الهلال.

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة: مرجع سابق.

[3] ابن منظور: لسان العرب: مرجع سابق.

4 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، ط(1) 1412هـ، دار القلم، الدار الشامية: دمشق، بيروت.

كما أن الله عز وجل خلق الخلق وفي داخل أنفسهم تساؤلات عن حياتهم والغاية منها، فنجد الاجابة في القرآن عن هذه التساؤولات التي ترد تصريحا، ومن هذه التساؤلات: من أين جاء؟ وما دوره في هذه الحياة؟ وإلى أين المصير؟ ولم يتركه الله عز وجل يواجه هذه التساؤلات لوحده، بل جاءت الإجابة من خلال أرسل الرسل وإنزال الكتب.وهذا يدل على أن الباعث الفطري وحده لا يكفي بل أنه لابد من وجود داعم أساسي ليقومها إذا أنحرفت ويوجهها إلى السبيل والطريق وهذا ما أتمه الله عز وجل على الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب لإقامة الحجة وتصحيح وتقويم تلك النفوس.

كما قد نص القرآن الكريم على هذا الأمر بالاية التي تعرف بالميثاق: {وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَىٰ أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدنَا أَن تَقُولُواْ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢} (الأعراف: 172) وجاءت السنة مؤكدة لذلك بالأحاديث التي تدل على أن الإنسان في نفسه ما يدفعه ويدعوه إلى الإيمان والاستجابة لله عز وجل. عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ[1] (مسلم: 2865/2197/4)

أقوال العلماء والمفسرين في الفطرة:

الفطرة رغم وضوحها إلا إنها من القضايا الشايكة بين العلماء وأهل الفرق وكل أدلى فيها بمعرفته وفهمه وتحليله للنصوص، وليس الغرض هنا إيراد تلك الخلافات أكثر من عرض مفهوم الفطرة:

قال تعالى: {فَأَقِم وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيهَا لَا تَبدِيلَ لِخَلقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ ٣٠} (الرُّوم:30) وجاءت هذه الآية في سورة عرضت فيها الآيات المبرهنات والدلائل الكونية التي توقظ كل نفس ذات فطرة سوية للإيمان.

يقول الطاهر عاشور(1984م) أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، وجعل في فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك، وتحصيل إدراكه إذا جرد نفسه من العوارض التي تدخل على فطرته فتفسدها[2]. (الطاهر عاشور 1984م: 168/9) ويضيف: بأن فطرة الله تدل على: أن هذا الدين مختص بوصفين هما: التبرؤ من الإشراك، وموافقته الفطرة، فيفيد أنه دين سمح سهل لا عنت فيه. أي الدين الذي هو فطرة الله لأن توحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة. والفطرة أصله اسم هيئة من الفطر وهو الخلق مثل الخلقة كما بينه قوله التي فطر الناس عليها أي جبل الناس وخلقهم عليها، أي متمكنين منها.

ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له مثل إثبات الوحدانية لله لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلقن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته.

وفي قوله التي فطر الناس عليها بيان لمعنى الإضافة في قوله فطرت الله وتصريح بأن الله خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة من الأديان الباطلة والعادات الذميمة، وأن ما يدخل عليهم من الضلالات ما هو إلا من جراء التلقي والتعود.[3] (الطاهر عاشور 1984م: 89/21- 92 مختصرا) وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا

[1] مسلم: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، د.ط: د.ت، دار إحياء التراث العربي: بيروت. كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب الصفات التي يعرف بها أهل الدنيا أهل الجنة والنار.

[2] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق

[3] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق

مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: 30] الآيَةَ[1] (البخاري1422هـ: 1358/94/2)

يقول السعدي(2000م) {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} وضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة. ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[2]" (السعدي2000م: 640)

يقول محمد قطب(1993م) مفسرا الفطرة من ناحية نفسية: أن النفس البشرية سواء كانت ضآلة أو مهتدية تحس إحساسا فطريا بالعجز إزاء قوة أكبر منها، ويكون هذا العجز لديها عنصرا من عناصر الدين. ويشير إلى أن الإنسان مهما كان مستواه العلمي والثقافي يحس بالرهبة تجاه روعة هذا الكون، ويدرك من خلال تجاربه وبديهته أن لكل شيء صانع، ويروعه الموت والأحداث التي تصيب حياة الإنسان تجعله يبحث عن الخالق، ويصفها بأنها عوامل تفتح في القلوب البشرية نوافذ إلى الخالق المدبر وتوقظ العقيدة الكامنة في صميم الفطرة – مشيرا إلى آية الميثاق – ويدلل على تلك الفطرة بالقاعدة العامة في الحياة: بأن الخارج لا ينشئ شيئا ما لم يكن الاستعداد له موجودا في الداخل من قبل[3]. (محمد قطب 1993م : 219 – 224مختصرا بتصرف يسير)

وخلاصة القول فيه أن الله عز وجل قد أودع في النفوس ما يحثها على البحث عن خالقها وخالق الكون والغاية من خلقها، وبأن الباعث الفطري وحده لا يكفي، لأنه قد ينحرف أو يفسد، وأنه وحده لن يصل إلى الإجابة المطلوبة، فأرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وقد أطلقت الباحثة على دور الرسل وما قاموا به بالباعث المعرفي: أي تصحيح المعارف الفطرية التي أوجدها الله في نفوس هولاء العباد وبناء معارف جديدة.

الباعث المعرفي:

التمهيد:

من المعلوم أن القرآن الكريم هو الهادي والمعلم والموجه، لكن نجد أن التعبير القرآني دائما ما تتكرر فيه وصف "لا يعلمون" و"لا تعلمون" قرابة ست وستون مرة. ويصف الله عز وجل الناس في القرآن بأنهم {بَل أَكثَرُهُم لَا يُؤمِنُونَ ١٠٠} (البَقَرَة:100) وما تشبهها من الآيات في نفس السياق أكثر من خمسين مرة.

تحاول الباحثة في هذا الجانب التعرف على المعرفة التي تبعث في النفوس الاستجابة التي تقتضي العلم والعمل، وما هي مفهومها وكيف صور القرآن الكريم هذه المعرفة مع المحاولة لاستنتاج أهم القضايا التي عالجها القرآن الكريم فما يختص بالمعرفة.

المدلول اللغوي للفظة المعرفة:

المعرفة من: العين والراء والفاء، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة[4]. (ابن فارس 1399هـ:281/4). وعرفها الجرجاني(1983م): إدراك الشيء على ما هو عليه.[5] (الجرجاني 1983م: 221). والمَعْرِفَةُ والعِرْفَانُ: إدراك الشيء بتفكّر وتدبّر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار، ويقال: فلان يَعْرِفُ اللهَ ولا يقال: يعلم الله متعدّيا إلى مفعول واحد، لما كان مَعْرِفَةُ البشرِ لله هي بتدبّر آثاره دون إدراك

[1] البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط(1) 1422هـ، دار طوق النجاة، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي

[2] السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا، ط(1) 2000م، مؤسسة الرسالة.

[3] محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية، ط (10) 1993م، دار الشروق: القاهرة

[4] ابن فارس: مقاييس اللغة، مرجع سابق.

[5] الجرجاني: التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط(1) 1983هـ، دار الكتب العلمية: بيروت.

ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يَعْرِفُ كذا، لما كانت المَعْرِفَةُ تستعمل في العلم القاصر المتوصّل به بتفكّر، ويضادّ المَعْرِفَةُ الإنكار، والعلم الجهل. قال: يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها [النحل/ 83][1](الأصفهاني 1412هـ: 560-561).

فالمعرفة يقصد بها كل ما يتصل بالعمليات العقلية وعالم الأفكار مما يعمل على تغيرها أو إيضاحها ومنها جاءت لفظة التعريف أي التبين والايضاح لكل مبهم.

المعرفة في السياق القرآني:

نزل القرآن الكريم منجما على أمة تعتز بنفوسها وعصية في الانقياد ولها السيادة، وفي بيئة تختلف فيها الأحوال السياسية والاجتماعية، وغيرها من العوامل التي لها تأثير كبير في الاستجابة أو الامتناع.

نجد أن القرآن المكي في تصحيح المعارف والتصورات يختلف تماما عن القرآن المدني مما يجعل الحاجة للوقوف على نفسية أولئك الأشخاص الذين نزل عليهم ولماذا جاءت المعالجة في كثير من الصور مكررة باستخدام شتى الوسائل في هذه المعرفة، فيجمع بين الأضداد كالبشارة والنذارة، وتختلف الأساليب بين ترغيب وترهيب، وبضرب الأمثال وقص الأنباء عن الأمم السابقة، كما نجد أن القرآن المكي أكثر ما يعمل على تعديله في التصورات الإيمان بالغيب وتقرير أن الله له علم الغيب والشهادة والملك، فإذا تغيرت عالم الأفكار جاء الإيمان المطلوب الذي هو سبيل الفلاح واقتضى التقوى والصبر والإحسان

ثم جاء القرآن المدني بمعارف أخرى، فعمل على بناء منظوم شامل للتعامل في هذه الحياة لتكون تحت مظلة العبودية، فنظم حياة الأفراد مع الكون والنفس والمجتمع بعد تعديل العلاقة أولا مع الله عز وجل.

المعرفة وعالم الأفكار:

إن أول ما عمل عليه القرآن الكريم هو التصورات وعالم الأفكار، فإن القاعدة تقول الحكم على الشيء فرع من تصوره، وتعتبر قاعدة عامة فإنه ليس من الممكن أن تقود إنسان من غير أن يفهم الفكرة إلا أن يكون مغيّب أو هنالك خلل في عقله، لذا نجد أن القرآن الكريم خاطب العقول بما تفهمه وتعقله بالدلائل الواضحة وبالمنطق البين الخالي من العوج {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١} (الكهف: 1) يقول ابن العيمين (1423هـ) ومعنى (قيما) أي: مستقيماً غايةَ الاستقامة، وهنا ذَكَرَ نَفْيَ العيبِ أولاً ثم إثباتَ الكمال ثانياً. وهكذا ينبغي أن تُخلي المكان من الأذى ثم تَضع الكمال؛ ولهذا يقال: "التخلية قبل التحلية"، يعني قبل أن تُحلِّي الشيء أخلِ المكان عمَّا ينافي التحلي ثم حَلِّه2.(ابن العثيمين1423هـ: 9)

وعليه فإن لبناء معارف لابد من التهيئة الأولية لتلك العقول وتخليتها من كل التشوهات المعرفية والعمل على تصحيح الأفكار المغلوطة، وتعديل الفطرة.

تصحيح الأفكار المغلوطة:

نزل القرآن الكريم على قوم لم يرسل الله عز وجل لهم رسول من قبل، ولديهم الكثير من التشوهات الفكرية التي بدورها تؤثر في السلوك الناتج من هؤلاء الأفراد كما أنها تؤثر في الأخلاق، فعالج القرآن المكي هذه الأمور باستخدام الأساليب المتعددة من قصص وأمثال وتباين بين البشارة والنذارة والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، التصور للكون والحياة والغاية من الخلق، وإن هذه المفاهيم قابلة للتغير إذا جاء الدافع لها من داخل النفس بعد تعرضها للمعارف الجديدة، ومن أهم المسائل التي عمل القرآن الكريم على تعديلها:

[1] الأصفهاني: مفردات غريب القرآن: مرجع سابق.

[2] ابن العثيمين: تفسير سورة الكهف، ط (1) 1423هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية

تبين الغاية من الخلق: تتناول الكثير من الآيات الحديث عن أصل الإنسان والغاية من خلقه، والدعوة للتعرف على الله عز وجل من خلال الآيات المبثوثه في الأرض ومن خلال الخلق والكون لإدراك هذه الغاية وأن الله وحده هو المستحق للعبادة ولا يجب ان يشرك معه أحد، قال تعالى: {وَمَا خَلَقتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ ٥٦} (الذَّارِيَات : 56)، يقول السعدي(2000م) هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.[1] (السعدي 2000م: 813) وذكر سيد عبد الحميد (1994م) أن الإسلام عمل على تنقية الشوائب الداخلية وتصفيت الإجسام الغريبة، وتصحيح التشوهات عن الكون والحياة والإنسان وعلاقته بالله ووحيه[2] (سيد عبدالحميد 1994م: 16،17 مختصرا)

فيعرض التعبير القرآني بعد تصحيح العقيدة وتبين الغاية من الخلق إلى أن نتيجة إيمانك لابد له من توابع أخرى وهي أن يتم التسليم التام والإنقياد بالعبادة، وهذا ما عرفته العرب بسليقتها كما ورد في السيرة عن كل تلك المحاولات التي كان يرفض فيها سادات قريش الإيمان مع إقرارهم بصدق النبي وبأنه كلام الله عز وجل منه لكن قولهم "لا إله الإ الله " لابد أن لها من توابع فمنعهم من قولها الاستكبار واتباع الهوى وغيرها. يقول الطاهر عاشور(1984م) في تفسير قوله تعالى :{إِنَّهُم كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُم لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَستَكبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُواْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجنُونِۭ ٣٦} (الصَّافَّات: 35-36)استئناف بياني أفاد تعليل جزائهم وبيان إجرامهم بذكر ما كانوا عليه من التكبر عن الاعتراف بالوحدانية لله ومن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو منزه عنه وصفا يرمون به إلى تكذيبه فيما جاء به. ومعنى قيل لهم لا إله إلا الله أنه يقال لهم على سبيل الدعوة والتعليم. والاستكبار: شدة الكبر، فالسين والتاء للمبالغة، أي يتعاظمون عن أن يقبلوا ذلك من رجل مثلهم، ويبدو عليهم التكبر والاشمئزاز من هذا القول. ويقارن استكبارهم أن يقول بعضهم لبعض: لا نترك آلهتنا لشاعر مجنون، وأتوا بالنفي على وجه الاستفهام الإنكاري إظهارا لكون ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم أمر منكر لا يطمع في قبولهم إياه، تحذيرا لمن يسمع مقالتهم من أن يجول في خاطره تأمل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله. وقووا هذا التحذير بجعل حرف الإنكار مسلطا على الجملة المؤكدة بحرف التوكيد للدلالة على أنهم إذا أتوا ما أنكروه كانوا قد تحقق تركهم آلهتهم تنزيلا لبعض المخاطبين منزلة من يشك في أن الإيمان بتوحيد الإله يفضي إلى ترك آلهتهم ليسدوا على المخاطبين منافذ التردد أن يتطرق منها إلى خواطرهم[3]. (الطاهر عاشور 1984م : 23/ 107)

أن الأمر كله لله: مدار الحياة على ما أرد الله عز وجل وكل ما فيها من خير أو سوء، وهي من أهم أركان تصحيح العقيدة والمعرفة، قال تعال: وَلَئِن سَأَلتَهُم مَّن خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُل أَفَرَءَيتُم مَّا تَدعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَل هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَو أَرَادَنِي بِرَحمَةٍ هَل هُنَّ مُمسِكَٰتُ رَحمَتِهِۦۚ قُل حَسبِيَ ٱللَّهُ عَلَيهِ يَتَوَكَّلُ ٱلمُتَوَكِّلُونَ ٣٨الزُّمَر يذكر الطاهر عاشور(1984م) : أفرأيتم لتفريع الاستفهام الإنكاري على جوابهم تفريعا يفيد محاجتهم على لازم اعترافهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض كما في قوله تعالى: قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون [الزمر: 64] . وهذا تفريع

[1] السعدي: تفسير الكريم المنان: مرجع سابق.

[2] سيد عبدالحميد: الإيمان والصحة النفسية، ط(1) 1994م، مكتبة وهبة: القاهر

[3] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق.

الإلزام على الإقرار، والنتيجة على الدليل فإنهم لما أقروا بأنه خالق السماوات والأرض يلزمهم أن يقروا بأنه المتصرف فيما تحويه السماوات والأرض. والرؤية قلبية، أي أفظننتم[1]. (الطاهر عاشور 1984م: 16/24)

تصحيح التصور عن عالم الغيب: إن من خصائص القرآن المكي تكرار المفاهيم التي لها اقتران بعالم الغيب، من إثبات عذاب القبر إلى البعث والجنة والنار وكشف الضر وكل ما لا تدركه الأنفس، وضحد كل الشركيات في هذا الجانب، فتم توجيههم إلى الجانب الغيبي ليكتسبوا مناعة داخلية تجعلهم يؤمنوا بمحدوديتهم وبأنه سيأتي يوما يحاسب فيه الإنسان على ما قدم وترد فيه المظالم فتسكن النفوس وتقبل على الله عز وجل، وقد ركز القرآن على هذه النقطة فكير ما نجد أنه تم الاقتران بين الإيمان واليوم الآخر في (26) موضعا، ما بين نفيه عن المشركين واثباته للمؤمنين والترغيب والترهيب به، وكل هذا يدل على أن الإيمان لا يكتمل إلا به وأن كل ما تعمله وتقدمه وتعتقده يجب أن يكون مرتبط بذلك اليوم. ويقول تعالى: {ٱللَّهُ يَعلَمُ مَا تَحمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرحَامُ وَمَا تَزدَادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُۥ بِمِقدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلغَيبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلكَبِيرُ ٱلمُتَعَالِ ٩ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّن أَسَرَّ ٱلقَولَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَن هُوَ مُستَخفٍ بِٱلَّيلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠} (الرَّعد8-10)

ويقول أيضا: {وَلَقَد خَلَقنَا ٱلإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلنَٰهُ نُطفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقنَا ٱلنُّطفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقنَا ٱلعَلَقَةَ مُضغَةٗ فَخَلَقنَا ٱلمُضغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَونَا ٱلعِظَٰمَ لَحمٗا ثُمَّ أَنشَأنَٰهُ خَلقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحسَنُ ٱلخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ تُبعَثُونَ ١٦ وَلَقَد خَلَقنَا فَوقَكُم سَبعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلخَلقِ غَٰفِلِينَ ١٧ وَأَنزَلنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسكَنَّٰهُ فِي ٱلأَرضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨ فَأَنشَأنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعنَٰبٖ لَّكُم فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنهَا تَأكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ تَخرُجُ مِن طُورِ سَينَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهنِ وَصِبغٖ لِّلأٓكِلِينَ ٢٠ وَإِنَّ لَكُم فِي ٱلأَنعَٰمِ لَعِبرَةٗۖ نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُم فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنهَا تَأكُلُونَ ٢١ وَعَلَيهَا وَعَلَى ٱلفُلكِ تُحمَلُونَ ٢٢} (المؤمنون 12-22)

جاء التعبير القرآني في هذ السياق يخاطب للعقول ويدعوهم إلى النظر في أنفسهم ويعرض لهم صورا سريعة في غاية البلاغة من مبدأ الخلق الأول أبيهم آدم مرورا بمراحل النمو من بداية تخليقها إلى وقت الوفاة، ثم انتقل بهم إلى تصوير آخر عن عظمة المخلوقات وتسخيرها للإنسان. فجمعت الآيات بين تصحيح التصورات مع تذكير بعظمة الله تعالى وقدرته على ذهاب هذه النعم، فما عليهم بعدها إلا التسليم والإيمان. وجاءت كثير من الآيات على نفس هذا السياق، تعالج أمور الغيب والبعث وتقرره في نفوسهم[2].

يقول الطاهر عاشور(1984م) : في هذا السياق وتوكيد خبر (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) لأنهم ينكرون البعث. ويكون ما ذكر قبله من الخلق الأول دليلا على إمكان الخلق الثاني، انتقال من الاستدلال بخلق الإنسان إلى الاستدلال بخلق العوالم العلوية لأن أمرها أعجب، وإن كان خلق الإنسان إلى نظره أقرب الطاهر، وإنما ذكر هذا عقب قوله: ثم إنكم يوم القيامة تبعثون [المؤمنون: 16] للتنبيه على أن الذي خلق هذا العالم العلوي ما خلقه إلا لحكمة، وأن الحكيم لا يهمل ثواب الصالحين على حسناتهم، ولا جزاء المسيئين على سيئاتهم، وأن جعله تلك الطرائق فوقنا بحيث نراها ليدلنا على أن لها صلة بنا لأن عالم الجزاء كائن فيها ومخلوقاته مستقرة فيها، وإنا على ذهاب به لقادرون معترضة بين الجملة وما تفرع عليها. وفي هذا تذكير بأن قدرة الله تعالى صالحة للإيجاد والإعدام وتنكير ذهاب للتفخيم والتعظيم. والعبرة: الدليل لأنه يعبر من معرفته إلى معرفة أخرى. والمعنى: إن في الأنعام دليلا على انفراد الله تعالى بالخلق وتمام القدرة وسعة العلم. والأنعام تقدم أنها الإبل في غالب عرف العرب. وجملة نسقيكم مما في بطونها بيان لجملة وإن لكم في الأنعام لعبرة فلذلك لم تعطف

[1] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق.

[2] أنظر سورة الجاثية الآية (23-27) سورة المؤمنون (115-117) سورة الرعد (1-5)

لأنها في موقع المعطوف عطف البيان. والعبرة حاصلة من تكوين ما في بطونها من الألبان الدال عليه نسقيكم[1] (الطاهرعاشور 1984م: 18/ 26،27،29،39)

ثم جاءت الآيات التي تليها بعد خطاب المشركين وتذكيرهم بالخلق والاعتبار منه لكنهم عصو وكذبوا[2] فتحول الخطاب إلى التذكير بالأقوام السابقة وبحجج الأنبياء على قومهم، وكيف عملوا على تفنيد حجج قومهم، وكيف أبطل الله عز وجل كل تلك الحجج مع بيان أن نفوسهم ما عصت ولا تجبرت إلا لأن قلوبهم فسدت وغلقت وكانت في غمرة – أي ملأتها تلك التشوهات والعدوات – ولم يتعظوا بالعبر البينات، ثم تحليل حالهم والعوائق التي دفعتم للإنكار وعدم التصديق بل نعت المرسلين بالجنون أو غيرها من الأوصاف، فوصفهم الله عز وجل: بالمستكبرين وبعدم تدبر القول – ومعنى التدبر المقصود هنا إعمال عقولهم في ما جاءت به الآيات وتفكرهم في تلك المعارف – وبتمسكهم بالنموذج الأول وبالتعصب في غير محله ثم باتباع اهوائهم، فكل هذه الأوصاف تدل على أنها ما بين موانع نفسية وتشوهات معرفية[3].

تعديل السلوكيات الشاذة وبدورها تهذيب الأخلاق: تعديل السلوك يأتي دائما بعد تصحيح المعارف أو بناءها، فكل من لديه معتقد يلزمه هذه المعتقد أن يتماشى مع سلوكه وإلا لوقع فيما يسمى بتناقض الاختيار: وهو أن يكون سلوك الإنسان مناقضا لقيمه وأفكاره. فدائما ما يقرن القرآن الكريم ما بين السلوك بمسمى العمل الصالح وبين الإيمان (أي المعتقدات) ونجدها في أكثر من (53) موضع في سياقات متعددة لها الكثير من الدلالات، يقول ابن العثيمين(1435) : {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، والرب عزّ وجل يكرر هذا دائمًا في القرآن، يجمع بين الإيمان والعمل الصالح، لأنه لا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، بل لابد من الأمرين. {آمَنُوا}: آمنوا بما يجب الإيمان به، وذلك بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، أي: عملوا الأعمال الصالحات، والأعمال الصالحات هي التي تكون لله وفي الله، أي: أنها خالصة لله وفي حدود شريعة الله، يعني خالصة صوابًا كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله، خالصة لله صوابًا يعني على السنة، هذا هو العمل الصالح، فإن لم تكن خالصة فليست عملًا صالحًا بل هي مردودة على صاحبها؛ لقول الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]، وفي الحديث القدسي: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ، وأما الموافقة أو الصواب كما قال الفضيل فلقوله – صلى الله عليه وسلم –: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"، فلا يقبل العمل إلا بموافقة الشرع[4]. (ابن العثيمين 1435هـ: 1/ 330،331)

قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢} (الأنعام :162) فشمل لهم كل حياتهم ما فيها من عبادات وأفعال وأفكار أن تكون لله عز وجل، وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ – وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ – قَالَ: " قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ"[5] (مسلم :38/65/1) نقل النووي(1392هـ) عن القاضي عياض رحمه الله بأن هذا القول من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك[6]. (النووي1392هـ: 9/2)

---

[1] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق.

[2] أنظر سورة المؤمنون (23-50)

[3] أنظر سورة المؤمنون (66-71)

4 ابن العثيمين: تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، ط(3) 1435، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية

5 مسلم: صحيح مسلم: مرجع سابق، كتاب الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام.

6 النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط(2) 1392هـ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

ومن جملة ما عالجه القرآن الكريم في هذه النقطة مسألة التحليل والتحريم، ومن السلوكيات الشاذة الأنكحة الفاسدة ووأد البنات، والحث على مكارم الأخلاق، لتصبح المعرفة هي بناء عقيدة قوية صحيحة يتبعها سلوك قويم.

ثانيا: بناء أفكار جديدة:

إن عملية التصحيح تقتضي البناء، فعند التخلص من أفكار ومعارف مشوهه أو مغيبة يتم استبدالها ببناء معارف جديد، تُكوِّن عالم الأفكار وتوجه السلوك.

يقول ابن القيم: يريد الله عز وجل من الخلق أن يعرفوا الله تعالى وصفات كماله عز وجل وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئا فيكون هو وحده إلههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} فأخبر أنه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ} فهذه الغاية هي المرادة من العباد وهي أن يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده[1].(ابن القيم: 163/4)

متطلبات البناء: نجد القرآن الكريم قد عمل على بناء النفس الإنسانية من جديد وأن تكون مصبوغة بصبغة جديدة وهي صبغة الله، فعمل على بناء وتنمية هذه النفس في علاقتها مع الله عز وجل ومع نفسها والكون، ومن أهم ما تم بناءه في هذه النفوس هو المحفز الداخلي، والمراقبة الذاتية.

1. المحفز الداخلي:

ربط كل الأعمال بالنية وأن تكون مرادها ابتغاء رضوان الله، عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[2] (البخاري 1422هـ: 1/6/1)

قال القاضي البيضاوي: هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا[3] (عبدالرؤوف بن تاج العارفين 1326هـ: 30/1)

يقول محمد مصطفى(2024م): والإرادة في علم النفس (أو النية) هي العملية المعرفي التي يقرر من خلالها الفرد القيام بعمل معين ويلتزم به، ويتم تعريفها على أنها محاولة هادفة وواحدة من الوظائف النفسية البشرية الأساسية. (محمد مصطفى2024م: 49) وإن عمل القلب بالقصد والإخلاص يدفع المرء إلى بذل أقصى ما في وسعه من جهد وطاقة، والسعي إلى كل ما يمكن أن يصل إليه من معرفة، أو مهارة ليحقق الهدف الذي يسعى إليه في عمله بل حياته كلها.[4] (محمد مصطفى2024م: 51)

2. المراقبة الذاتية:

جعل الجزاء والعقاب معلوم لدى الإنسان ليصبح هو الرقيب على نفسه وكل ما ينتج عنها من أفكار أو سلوك، وحث على إن استطعت أن تجعل الله نصب عينيك فالتفعل، وجعل أعلى مراتب الإيمان هو الإحسان الذي عرفه النبي صلى الله عليه وسلم: "قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[5]»"(البخاري 1422: 50/19/1) كما يحث القرآن الكريم على التقوى ويأمر بها، والأمر بالتقوى وتصرفاتها في القرآن الكريم كثيرة جدا، وقد عرفوا التقوى بأنها علم العبد بقرب الرب، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١}

---

[1] ابن القيم: بدائع الفوائد، د.ط، د.ت، دار الكتاب العربي: بيروت.

[2] البخاري: صحيح البخاري: مرجع سابق، كتاب بدء الوحي: باب كيف كان بدأ الوحي.

[3] عبد الرؤوف بن تاج العارفين: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط(1) 1356هـ، المكتبة التجارية الكبرى: مصر

[4] محمد مصطفى: الأربعون النفسية، ط(1) 2024م، مكتبة الأسرة العربية: اسطنبول.

[5] صحيح البخاري: مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم.

(البَقَرَة: 21) يقول الطاهر عاشور(1984م) : فالمعنى اعبدوا ربكم رجاء أن تتقوا فتصبحوا كاملين متقين، فإن التقوى هي الغاية من العبادة فرجاء حصولها عند الأمر بالعبادة وعند عبادة العابد أو عند إرادة الخلق والتكوين واضح الفائدة.[1] (الطاهر عاشور1984م: 330/1) كما أعطى هذه النفس ميزة وخصها بها وهي الاستغفار وفتح باب التوبة، وتضعيف الحسنات. {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَو ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُم ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱستَغفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَم يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُم يَعلَمُونَ ١٣٥} (ال عِمرَان: 135)

ويحث القرآن على المراقبة الذاتية في كثير من المواضع منها، قوله تعالى: {رَّبُّكُم أَعلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُم إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلأَوَّٰبِينَ غَفُورا ٢٥} (الإسرَاء:25)، وفسرها السعدي (2000م) ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير وشر وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وما فيها من الخير والشر. {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ} بأن تكون إرادتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله ورغبتكم فيما يقربكم إليه وليس في قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله. {فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ} أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات {غَفُورًا} فمن اطلع الله على قلبه وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه ومحبته ومحبة ما يقرب إليه فإنه وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطبائع البشرية فإن الله يعفو عنه ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة[2].(السعدي2000: 456)

وقال تعالى محذرا:{يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفس مَّا عَمِلَت مِن خَير مُّحضَرا وَمَا عَمِلَت مِن سُوء تَوَدُّ لَو أَنَّ بَينَهَا وَبَينَهُۥٓ أَمَدَا بَعِيدا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُ بِٱلعِبَادِ ٣٠} (ال عِمرَان: 30) والخطاب للمؤمنين ولذلك سمى الموعظة تحذيرا: لأن المحذر لا يكون متلبسا بالوقوع في الخطر، فإن التحذير تبعيد من الوقوع وليس انتشالا بعد الوقوع وذيله هنا بقوله: والله رؤف بالعباد للتذكير بأن هذا التحذير لمصلحة المحذرين. وما وعيدهم إلا لجلب صلاحهم، وما تنفيذه بعد فوات المقصود منه إلا لصدق كلماته، وانتظام حكمته سبحانه.[3] (الطاهر عاشور1984م: 223/3).

فنجد مما سبق أن القرآن الكريم لديه منظومة شاملة للمعرفة بل هو الأساس والمرجع لكل ما في حياة المؤمن، إذ أنه يعمل على التصحيح والبناء ويحث على الترقي ويستخدم صور بلاغية وأساليب شتى ما بين تحذير وترقيب للمحافظة على هذا البناء والسعي دائما على إصلاحه وتعهده.

مراكز التأثير:

ركزت الباحثة على الباعث المعرفي لأنه هو أساس كل البواعث الأخرى وهو الذي يدفع أو يمنع النفوس من الاستجابة، ولما أراد الله عز وجل من خلقه أن يعبدوه وأنزل لهم الرسل والكتب محملة بالمعارف المختلفة بين بناء وتصحيح، منح هذه النفوس أدوات يتعامل بها مع هذه المعارف، وقد أطلقت عليها الباحثة مسمى أدوات المعرفة، وستتناول الباحثة أهم هذه المراكز التي تعمل على التأثير في الاستجابة وهي السمع والقلب والعقل، كما تشير إلى أن هذا الاختيار لا يقتضي الترتيب. قال تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَٰرَ وَٱلأَفـِٔدَةَ قَلِيلا مَّا تَشكُرُونَ ٧٨} (المؤمنُون: 78) وفي آية أخرى وصف من لم يتعامل مع هذه الأدوات: {وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعرَضَ عَنهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَت يَدَاهُ إِنَّا جَعَلنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِم وَقرا وَإِن تَدعُهُم إِلَى ٱلهُدَىٰ فَلَن يَهتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدا ٥٧} (الكَهف: 57)

أولا: السمع:

ارتباط السمع بالمعرفة وبالاستجابة ويوجد في التصوير القرآني بكثرة، ما بين اثبات أو نفي أو تعطيل.

[1] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق.

[2] السعدي:تيسير الكريم الرحمن: مرجع سابق.

[3] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق.

يقول ابن القيم: فعل السمع يراد به أربعة معان أحدهما: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات، الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، الرابع: سمع قبول وانقياد فمن الأول: {سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} و {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا} ومن الثاني قوله: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا} ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه سمعنا وأطعنا ومن الثالث سمع الله لمن حمده وفي الدعاء المأثور اللهم اسمع أي أجب وأعط ما سألتك ومن الرابع قوله تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} أي قابلون له ومنقادون غير منكرين له ومنه على أصح القولين: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أي قابلون ومنقادون وقيل: عيون وجواسيس وليس بشيء فإن العيون والجواسيس إنما تكون بين الفئتين غير المختلطتين فيحتاج إلى الجواسيس والعيون وهذه الآية إنما هي في حق المنافقين وهم كانوا مختلطين بالصحابة بينهم فلم يكونوا محتاجين إلى عيون وجواسيس وإذا عرف هذا فسمع الإدراك يتعدى بنفسه وسمع القبول يتعدى باللام تارة وبمن أخرى وهذا بحسب المعنى فإذا كان السياق يقتضي القبول عدي ب من وإذا كان يقتضي الانقياد عدي باللام وأما سمع الإجابة فيتعدى باللام نحو سمع الله لمن حمده لتضمنه معنى استجاب له ولا حذف هناك وإنما هو مضمن وأما سمع الفهم فيتعدى بنفسه لأن مضمونه يتعدى بنفسه.[1] (ابن القيم: 75/2)

ويصور القرآن الكريم حال لسان الكفار يوم القيامة{وَقَالُواْ لَو كُنَّا نَسمَعُ أَو نَعقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠} (الملك: 10)، وفي آية أخرى يصف حال المعرضين {وَلَو عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِم خَيرا لَّأَسمَعَهُم وَلَو أَسمَعَهُم لَتَوَلَّواْ وَّ هُم مُّعرِضُونَ ٢٣} (الأنفال: 23) ويصف حال المؤمنين: {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِيا يُنَادِي لِلإِيمَٰنِ أَن ءَامِنُواْ بِرَبِّكُم فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبرَارِ ١٩٣} (ال عِمرَان: 193) تقتضي هذه الآيات أن هذه الحاسة التي تعد من أدوات المعرفة حقيقة استعمالها إما في الحق أو الضلال.

ثانيا: القلب:

تعتبر حقيقة القلب في القرآن الكريم بأنه مستودع الفهم وبه تعمل بقية الحواس وكما أن له وظائف معنوية أودعها الله فيه، وهو منطلق الإيمان والاستجابة، إذ يعمل على توظيف المعارف التي تدخل إليه من خلال وظائف متعددة، كما يصور القرآن الكريم هذا القلب في كله أحواله التي تطرأ عليه، كما يصف وصفا دقيقا وظيفة هذا القلب والوسائل التي يستخدمها في التعامل مع تلك المعارف وكما أسلفت الباحثة الحديث عن مركزية السمع في التأثر بالمعرفة نجد أيضا القرآن الكريم يجمع بين السمع والقلب واستخدامهما معا سواء بالايجاب أو السلب، قال تعالى: {وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعرَضَ عَنهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَت يَدَاهُ إِنَّا جَعَلنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقرا وَإِن تَدعُهُم إِلَى ٱلهُدَىٰ فَلَن يَهتَدُواْ إِذًا أَبَدا ٥٧} (الكَهف: 57)

أحوال القلوب:

إن للقلب أحوال عدة يتقلب بينها ما بين قلب سليم ومريض، والقلب السليم هو ذلك القلب الذي عرف دوره الأساسي والغاية منه وعمل على توظيفه بالطريقة المرادة منه، والقلب المريض هو ذلك القلب الذي طرأت عليه أحد العوائق التي تمنعه من أداء وظيفته المعرفية.

وظائف القلب:

1. التفقه: {وَلَقَد ذَرَأنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرا مِّنَ ٱلجِنِّ وَٱلإِنسِ لَهُم قُلُوب لَّا يَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُن لَّا يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَان لَّا يَسمَعُونَ بِهَا أُوْلَٰئِكَ كَٱلأَنعَٰمِ بَل هُم أَضَلُّ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلغَٰفِلُونَ ١٧٩} (الأعرَاف: 179)
2. التدبر: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلقُرءَانَ أَم عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقفَالُهَا ٢٤} (مُحَمَّد : 24)

[1] ابن القيم: بدائع الفوائد: مرجع سابق.

3. التعقل: {أَفَلَم يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرضِ فَتَكُونَ لَهُم قُلُوب يَعقِلُونَ بِهَا أَو ءَاذَان يَسمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعمَى ٱلأَبصَٰرُ وَلَٰكِن تَعمَى ٱلقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦}(الحج: 46)

تطرأ على القلب معوقات تجعله لا يؤدي وظيفته المطلوبة ويمكن تصنيفه بالقلب المريض كما وصفه القرآن الكريم {فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضا} (البقرة: 10) وتتراوح أشكال هذه الأمراض، ويرجع سببها إلى عدم إعمال وظيفة القلب التي اودعها الله فيه. ومن أشكال هذه الأمراض نوردها مجملة من غير شرح:

1. ختم: {خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِم} (البقرة: 7)
2. كن: {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّة مِّمَّا تَدعُونَا إِلَيهِ} (فصلت: 5)
3. قسوة: {وَجَعَلَا قُلُوبَهُم قَٰسِيَة} (المائدة: 13)
4. زيغ: {رَبَّنَا لَا تُزِغ قُلُوبَنَا بَعدَ إِذ هَدَيتَنَا} (ال عمران: 8)
5. ريبة: {وَٱرتَابَت قُلُوبُهُم فَهُم فِي رَيبِهِم يَتَرَدَّدُونَ} (التَّوبَة:45)
6. طبع: {وَنَطبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَهُم لَا يَسمَعُونَ١٠٠} (الأعرَاف:100)

ثالثا: العقل:

خاطب القرآن الكريم العقل مباشرة بالحجج الدالة والبراهين القاطعة وبالنظر في الكون والخلق البديع وما فيه من تسخير ومن نعم.

يقول عبدالله محمد(2006م) : فالقرآن يخاطب العقل بمنطق قوي وحجة ظاهرة ودليل قاطع، وتراه في الوقت نفسه يخاطب الشعور والوجدان خطابا يستدر به العطف ويوقظ الإحساس، فلا نجده يغذي جانبا ويهمل جانبا، اقرأ قوله تعالى، مثلا: {قُل مَن يَرزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرضِ أَمَّن يَملِكُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَٰرَ وَمَن يُخرِجُ ٱلحَيَّ مِنَ ٱلمَيِّتِ وَيُخرِجُ ٱلمَيِّتَ مِنَ ٱلحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلأَمرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُل أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلحَقُّ فَمَاذَا بَعدَ ٱلحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصرَفُونَ ٣٢}(يُونُس: 31-32)[1] (عبدالله محمد 2006م: 135)

كما تم التقرير في الأداتان السابقتان أن حقيتهما في القرآن تقتضي إما التعامل مع الحق أو مع الباطل فكذلك العقل فنجد أن القرآن الكريم يعمل على ربط وصف العاملين به بأنهم أولو الألباب وأولو النهى – بمعنى أصحاب العقول السليمة التي استعملت هذه الخاصية في وظيفتها الحقيقة.

وقد عملت الباحثة على عمل مخطط يجمع الباعث المعرفي في نموذج مصغر تبين فيه خطوات المعرفة ثم الغاية من تلك المعرفة واسمته خطوات المعرفة

نموذج (1)

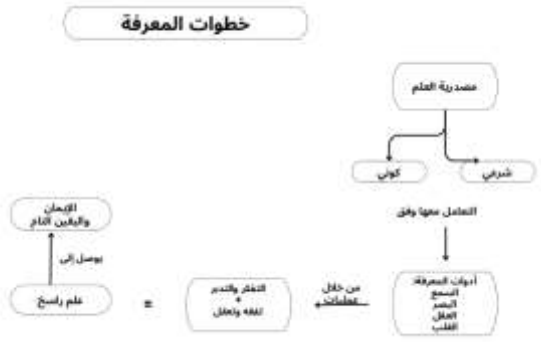

1 عبدالله محمد الجيوسي: التعبير القرآني والدلالات النفسية، ط(1) 2006م، دار العوثاني للدراسات القرآنية: دمشق

خصائص المعرفة:

عند تفحص القرآن الكريم نجد أن للمعرفة عدة خصائص تتميز بها منها:

الدعوة للتعرف على الآمر: وتتمثل في معرفة الله عز وجل باسمائه وصفاته، ومن خلال الكون والخلق.

مراعاة حال المأمور: من حيث التكليف: قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفسًا إِلَّا وُسعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا ٱكتَسَبَت} (البقرة: 286)، جاءت التكليفات تناسب العباد جميعهم، فهنالك ما يجب عليهم بدون أي اسقاط لها، كما وضعت لها الرخص عند عدم القدرة، وهنالك تكليفات بقدر الاستطاعة بل حتى سن التكليف يختلف في مراحله وبين الجنسين. كما راعت المأمور بما لديه من رغبات وحاجات {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلبَنِينَ وَٱلقَنَٰطِيرِ ٱلمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلفِضَّةِ وَٱلخَيلِ ٱلمُسَوَّمَةِ وَٱلأَنعَٰمِ وَٱلحَرثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسنُ ٱلمَـَٔابِ ١٤ } (آل عمران: 14) فجاء الخطاب ليضابطها وينظمها لها.

وتحديد هذه القدرة والاستطاعة وفق المنظور الإلهي وليس بمنظور البشر، ومثال ذلك قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلقِتَالُ وَهُوَ كُرهٞ لَّكُم وَعَسَىٰٓ أَن تَكرَهُواْ شَيـًٔا وَهُوَ خَيرٞ لَّكُم وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُم وَٱللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ ٢١٦} (البَقَرَة: 216)، وفي قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشتَرَىٰ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم وَأَموَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقتُلُونَ وَيُقتَلُونَ وَعدًا عَلَيهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّورَىٰةِ وَٱلإِنجِيلِ وَٱلقُرءَانِ وَمَن أَوفَىٰ بِعَهدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱستَبشِرُواْ بِبَيعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ ٱلعَظِيمُ ١١١} (التَّوبَة: 111)

ومنها أيضا تبين أن الغرض من هذه الأحكام والتكاليف لخدمتك ونفعك وتهذيب نفسك.

حال الأمر: وذلك نجده في التدرج بالخطاب في بعض التشريعات، وتأخر نزول بعض الأحكام، حتى تتم المعرفة التامة.

الخلاصة: يمكن أن تجملها الباحثة بأن الباعث المعرفي هو الأساس لما بعده ولما قبله، فقد تأتي المعرفة لصاحب فطرة سوية فيستجيب مباشرة وتكون بمثابة بناء وقد تأتي لصاحب فطرة منكوسة أو محرفة فتعمل على تصحيح تلك التصورات وبالمعرفة، وكما أن الباعث الانفعالي لا يتأتى إلا بها وهو ما سيتم مناقشته في الفقرة القادمة. وأن من أهم ثمرة هذه المعرفة الاستجابة لها والانقياد والتسليم وهذا ما سيتم ناقشته في المبحث الثاني.

الباعث الانفعالي :

التمهيد:

يقول مالك بدري (2021م) : الانفعال حالة معقدة من المشاعر يصاحبها تغيرات جسدية تنتاب الفرد نتيجة لاستجابته لمثير ما، فمنها ما هو انفعال إيجابي أو انفعال سلبي.[1] (مالك بدري 2021م: 19)

وستركز الباحثة على الجانب الإيجابي من الانفعالات، كما أن القرآن الكريم يذخر بكثير من الانفعالات، وستقف الباحثة على اثنين منهما وهما انفعال الخوف وانفعال المحبة للتلازم الذي بينهما.

انفعال الخوف:

الدلالة اللغوية للفظة الخوف:

الخوف من: الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال خفت الشيء خوفا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة. ويقال خاوفني فلان فخفته، أي كنت أشد خوفا منه. فأما قولهم تخوفت الشيء، أي تنقصه[2] (ابن فارس 1399هـ: 230/2). والخَوْف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة، كما أنّ الرّجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية. والخوف من الله لا يراد به ما

[1] مالك بدري: الجوانب العاطفية في حياة الأنبياء، ط(1) 2021م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: هرندن

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة: مرجع سابق

يخطر بالبال من الرّعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكفّ عن المعاصي واختيار الطّاعات، ولذلك قيل: لا يعدّ خائفا من لم يكن للذنوب تاركا. والتَّخويفُ من الله تعالى: هو الحثّ على التّحرّز، ونهى الله تعالى عن مخافة الشيطان، والمبالاة بتخويفه، ويقال: تخوّفناهم أي: تنقّصناهم تنقّصا اقتضاه الخوف منها. والخِيفَةُ: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف، والتَّخَوُّفُ:ظهور الخوف من الإنسان[1] . (الأصفهاني1412هـ: 303)

ومما سبق يمكن تصنيف الخوف بأنها حالة شعورية تنبع من الداخل تصيب النفس الإنسانية، وتدل على شقين، سلبي وهي حالة الذعر والفزع الذي يصيب الإنسان عند المكاره وقد يكون في الدنيا أو الآخرة، وشق إيجابي يدل على الشعور الداخلي للإنسان الذي يمنعه ويكفه عن الوقوع في المعاصي والإقبال على الطاعات.

الخوف في السياق القرآني: المراد به الخوف الإيجابي الذي يبعث النفس على الاستجابة لخالقها، وقد أقرت الباحثة عند مناقشة الباعث المعرفي أنه هو المحرك والداعم لبقية البواعث، فكلما عرف الإنسان ربه وكلما أزداد عنده باعث الخوف.

يقول ابن القيم (1394هـ): أن الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهي: الخوف، والرجاءُ، والمحبة وقد ذكره سبحانه في قوله: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تحويلا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء: 56-57] ، فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاءَ الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه. ثم يقول: (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) ، فذكر الحب والخوف والرجاءَ، والمعنى أن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له؟ وقد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله: {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175] ، فجعل الخوف منه شرطاً في تحقق الإيمان، وذلك لأن الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه، وحصول المسبب شرط في تحقق السبب كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه، فانتفاءُ الإيمان عند انتفاء الخوف انتفاءٌ للمشروط عند انتفاءِ شرطه، وانتفاءُ الخوف عند انتفاءِ الإيمان انتفاءٌ للمعلول عند انتفاءِ علته. فتدبره. والمقصود: أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه. وقال تعالى: {فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} [المائدة: 44] – ثم ذكر أنه ينشأ من ثلاثة أمور وهي: أحدها: معرفته بالجناية وقبحها.

والثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها. والثالث: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب[2]. (ابن القيم 1394هـ: 282، 283)

وحصر نجاتي (2001م) أنواع الخوف في القرآن الكريم: بالخوف من الله عز وجل وهو أهمها، والخوف من الموت، والخوف من الفقر، والخوف من الناس[3]. (نجاتي2001م: 74)

يقول الله تعالى في آيات يصف فيها المخبتين – أي المطيعين لربهم المنقادين له: {ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم ٣٥} (الحَج:35) يقول السعدي (2000م) : خوفا وتعظيما، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده. (السعدي2000م: 538) أي أنهم لما علموا الذكر واستوعبوه حصل لهم ذلك الخوف الإيجابي المحمود.

[1] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: مرجع سابق

[2] ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط(2) 1394هـ دار السلفية: القاهرة.

[3] عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس: مرجع سابق.

يذكر الغزالي (2005م) : أنه من الخطأ حسبان الخوف وحده هو الحجاز عن الشر والدافع إلى الخير. فإنه قد يترك المرء المعصية حياء من المنعم أو رجاء ما عنده، أو شعورا نفسيا وعقليا بدمامتها أو حبا غالبا لله الذي أمر ونهى. وأن المؤمنون ليسوا سواء في هذه البواعث. ثم ذكر أن الخوف داغع بارز في حياة المؤمن.[1](الغزالي 2005: 224)

ثمرة الخوف الخشية: وهي تعد من أهم السمات التي يتسم بها المؤمنين، قال تعالى : {إِنَّمَا يَخشَى ٱللَّهَ مِن عِبَادِهِ ٱلعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨} (فاطِر: 28). والخَشْيَة عند العلماء: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ[2] (الأصفهاني 1412هـ: 283)

يذكر سميح عاطف (1991م) في معرض حديثه عن قلب المؤمن بأنه هو الذي يخشع لذكر الله تعالى، ويغشاه جلاله فيتمثل عظمته وقدسيته. والإنسان المؤمن يخاف الله تعالى لمجرد الذكر، أكان في نفسه شعور بالتقصي والذنب أو ندم على فعل مضى قد أتاه في ساعة غفلة. لأنه يستشعر بالذكر العظيم عذاب الله الشديد, وآلام ذلك العذاب ومآسيه.[3] (سميح عاطف 1991م: 476)

وخلاصة القول أن من البواعث الإنفعالية الخوف بمعناه المحمود الإيجابي الذي يقتضي الخشية والخوف من الله وحده بمراقبة الله عز وجل وبذكره ومعرفته. يقول الغزالي(2005م): إن الخوف يرتبط بالمعرفة، وإن العلم بخصائص الأشياء يملي على صاحبه التصرفات المناسبة، فمن عرف الله معرفة اليقين، انمحت من نفسه كل آثار الجرأة والبرود وساورته بين حين وآخر مشاعر الوجل والحذر. وهي مشاعر لا يستغني عنها حي في حكم نفسه وضبط سلوكه، ثم هيي الباعث الدائم على استرضاء الله، وفعل ما أمر وترك ما نهى {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُم خَيرُ ٱلبَرِيَّةِ ٧ جَزَاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنَّٰتُ عَدن تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنهُم وَرَضُواْ عَنهُ ذَٰلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨} (البَيِّنَة: 7-8)[4] (الغزالي2005م: 221، 222)

انفعال المحبة:

يقول نجاتي (2001م) : يلعب انفعال الحب دورا هاما في حياة الناس، فهو الرابط الوثيق الذي يربط الإنسان بربه ويجعله مخلصا في عبادته واتباع منهجه، وأن حب المؤمن الكامل الإيمان حب عام شامل، يسع الكون كله.[5] (نجاتي 2001م: 82، 83).

الدلالة اللغوية للفظة المحبة:

الحِبُّ: من فرط حبّه، في الأصل بمعنى: أصبت حبّة قلبه، نحو: شغفته وكبدته وفأدته، وأَحْبَبْتُ فلانا: جعلت قلبي معرّضا لحبّه، لكن في التعارف وضع محبوب موضع محبّ، واستعمل (حببت) أيضا موضع (أحببت) . والمحبَّة: إرادة ما تراه أو تظنّه خيرا، وهي على ثلاثة أوجه: محبّة للّذة، كمحبّة الرجل المرأة،. ومحبّة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومحبّة للفضل، كمحبّة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم. ومحبّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبّة العبد له طلب الزّلفى لديه.[6] (الأصفهاني1412هـ: 214) والحب والمحبة: اشتقاقه من أحبه إذا لزمه.[7] (ابن فارس 1399هـ: 26/2)

---

[1] محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام، ط(3) 2005م، نهضة مصرللنشر والتوزيع: مصر

[2] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: مرجع سابق

[3] سميح عاطف: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، د.ط 1991م، دار الكتاب المصري: دار الكتاب اللبناني.

[4] محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام: مرجع سابق.

[5] نجاتي: القرآن وعلم النفس: مرجع سابق.

[6] الأصهاني: مفردات غريب القرآن: مرجع سابق.

[7] ابن فارس: مقاييس اللغة: مرجع سابق.

يقول ابن القيم(1403هـ) معرفا المحبة أنها قد جمعت الكثير من التعريفات منها: فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل إيثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب، وقيل حقيقتها أن تهب كلك لمن أحببته فلا يبقى لك منك شيء وقيل هي أن تمحو من قلبك ما سوى المحبوب، وقيل هي حفظ الحدود فليس بصادق من ادعى محبة من لم يحفظ حدوده وقيل هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل هي مجانبة السلو على كل حال[1] (ابن القيم 1403هـ: 19،20)

المحبة في السياق القرآني:

يقول الله عز وجل: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ١٦٥} (البَقَرَة: 165) ربط الله عز وجل أن أهل الإيمان هم أشد حبا لله واستخدم فعل التفضيل إذ ليس بعده حب، وقد ذكرت الباحثة في جانب المؤمنين في الباعث المعرفي أن المؤمنون هم من اتبعوا العقيدة (الأفكار والمعتقدات) بالعمل (السلوك) وعليه فإن المحبة تكتمل في تحقيق العبودية كما أمر الله بها مع الانقياد والتسليم التام لكل ما أتت به المعارف، يقول الإمام الشافعي: إن المحب لمن يحب مطيع[2](الشافعي 1985م: 91). ويدل على ذلك قوله تعالى: {قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١} (آل عِمرَان: 31)

ويصنف الغزالي(2005م) أنواع المحبة ودوافعها: بأن أسرع دواعي المحبة النعم الإلهية التي تكتنف الوجود الإنساني، ومنها أن النفس الإنسانية تبهرها العظمة والعظماء ويسرها الإقبال عليهم والتودد إليهم، فكيف بالخالق المتصف بأسماء الكمال المنزه من كل عيب ونقص.[3] (الغزالي2005م: 252-259 مختصرا)

الخلاصة: إن الله عز وجل لما خلق هذه النفوس لما يتركها هملا بل أودع فيها بواعث تدفعه للاستجابة لأمره الإلهي ولتحقيق المراد منها في الأرض، وأنه كلما كانت هذه البواعث في نفس قوية مع العمل على اكتسابها كانت الاستجابة أسرع.

المبحث الثاني: مفهوم الاستجابة

تمهيد:

إن الحديث عن الاستجابة لا يقصد بها الكمال، بل إنها درجات ترتقي فيها النفس الإنسالنية فتعلوا بالإيمان فتتصل دائما بالله عز وجل، وكما فصلت الباحثة في المبحث الأول أن الاستجابة لا تأتي إلا من علم تام بالهدى الإلهي ثم اتباعه بسلوك عملي لتجنى الثمرة المطلوبة.

أولا: مفردات الاستجابة ودلالاتها اللغوية:

الاستجابة: لغة: من جوب: وهو رديد الكلام، والفعل أجاب يجيب، ومصدرها إجابة بمعنى الطاعة[4] (الهروي 2001م: 149/11)، والاستجابة قيل: هي الإجابة، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له، لكن عبّر به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها[5].(الأصفهاني: 210)

الطاعة: لغة: من طوع: الطَّوع: نقيض الكَرْه، ويقال طاع يطاع وأطاع، وَقد طاع لَهُ إِذا انْقَادَ لَهُ[6]. (الهروي 2001م: 66/3)

الإنابة: لغة: من نوب: نابَ الأَمْرُ نَوْباً ونَوبةً: نزلَ، ونابَ فلانٌ إِلى اللَّهِ تَعَالَى، وأَنابَ إِليه إِنابةً، فَهُوَ مُنِيبٌ: أَقْبَلَ وتابَ،

[1] ابن القيم: روضة المحبين ونزهة العاشقين: د.ط 1403هـ، دار الكتب العلمية: بيروت.

[2] الشافعي: ديوان الشافعي، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط(2) 1985م، مكتب الكليات الأزهرية: القاهرة

[3] محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام: مرجع سابق.

[4] أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة: مرجع سابق.

[5] الأصفهاني: مفردات غريب القرآن: مرجع سابق.

[6] أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة: مرجع سابق.

ورجَع إلى الطَّاعَةِ؛ وَقِيلَ: نابَ لَزِمَ الطَّاعَةَ، وأَنابَ: تابَ ورجَعَ. وَفِي حَدِيثِ الدعاءِ: وإليك أَنَبْتُ. والإِنابةُ: الرجوعُ إِلى اللَّهِ بالتَّوبة. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: مُنِيبِينَ إِلَيْهِ*؛ أَي رَاجِعِينَ إِلى مَا أَمَرَ بِهِ، غَيْرَ خَارِجِينَ عَنْ شيءٍ مِنْ أَمرِه. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ؛ أَي تُوبوا إِليه وارْجِعُوا[1]. (ابن منظور1414هـ: 1/ 274، 275) ذكر ابن القيم (1996) وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، والمنيب إلى الله المسرع إلى مرضاته، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابة.[2] (ابن القيم: 1996: 433/1)

التسليم: من سلم: السَّلام والسَّلامةُ البَراءةُ وقوله تعالى {إلا من أتى الله بقلب سليم} الشعراء 89 أي سَلِيمٍ منَ الكُفْرِ وسلَّمه اللهُ من الأَمْرِ وقَّاهُ إياهُ. والإِسْلام والاسْتِسلام الانْقِيادُ والإِسْلامُ من الشَّرِيعةِ إِظْهارُ الخُضُوع وإِظهارُ الشَّرِيعةِ والْتزامُ ما أَتَى به النبيُّ صلى الله عليه وسلم وذلك. واسْتَسْلَم له انْقاد3. (ابن سيدة 2000م: 8/ 512 – 514)

وبعد عرض الدلالات اللغوية لمفردات الاستجابة وبالعودة إلى بعض القواميس، تبين أن الاستجابة لله جميعها تدل على: الانقياد المطلق للأمر الإلهي والرجوع الدائم المتكرر مرة بعد مرة، والنزول إلى أمره.

ثانيا: الاستجابة في السياق القرآني:

تمهيد:

يعرض القرآن الكريم نماذج متعددة من الاستجابات إما عن أقوام سابقة أو وصف حال المؤمنين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتتنوع هذه الاستجابات ما بين استجابة سريعة ومتأخرة وبين امتناع وتردد، وستتناول الباحثة نوعين من الاستجابات من خلال النماذج القرآنية، النوع الأول هو الاستجابة المباشرة ثم العمل على استنباط شروط الاستجابة للهدى الإلهية، والنوع الثاني هو الامتناع عن الاستجابة مع محاولة استنباط العوائق المانعة.

النوع الأول: الاستجابة المباشرة:

حينما يمتلئ القلب بالمعرفة وتتجسد في كل سلوك الإنسان وأفكاره وانفعالاته، نجد الاستجابة تأتي منطاعة عن حب ورغبة ورجاء من المحبوب ومن الأمثلة الدالة على ذلك قول سيدنا موسى عليه السلام {وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَىٰ ٨٤} (طه: 84) وفي قول أبي طلحة رضي الله عنه لما نزلت الاية {لَن تَنَالُواْ ٱلبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيم ٩٢} (ال عِمرَان: 92)، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[4].(البخاري 1422: 1461/119/2)، وفي حال سحرة فرعون وهم يعلنون إيمانهم ويسجدون طواعية أمام ذلك الجبار وهم يرددون {إِنَّمَا تَقضِي هَٰذِهِ ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا ٧٢} (طه: 72)، عند تلك اللحظة التي تنقلب فيها الموازين وتتغير الأمور ويبقى الإيمان الذي خالطة بشاشته القلوب.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب: مرجع سابق.

[2] ابن القيم: مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط(3) 1996م، دار الكتاب العربي: بيروت

[3] ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي: ط(1) 2000م، دار الكتب العلمية: بيروت

[4] البخاري: صحيح البخاري: مرجع سابق: كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب.

نموذج قرآني: إن من أهم النماذج التي تظهر فيها سرعة الاستجابة لله عز وجل مع العمل للدعوة إليه تتمثل في قصة مؤمن ال فرعون[1] فكانت بداية الحوار باستخدام الحجج البراهين مع استخدام أساليب متعددة ما بين وعظ وتخويف ولين ونهي وأمر، ثم بين لهم أن جدالهم بغير دليل ولا معرفة أنه قول يكرهه الله تعالى. وتشير الأيات إلى حال قلوب المدعوين إذا أنه من أهم مراكز التأثير، {وَقَالَ ٱلَّذِي ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩} (غَافِر: 38-39) فبين لهم حال الدنيا ومئآلها فدفعهم إلى اثنين الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، والرغبة في الآخرة. ويظهر من الآيات أنه لما امتلأ قلب مؤمن آل فرعون بالإيمان وتشبع بالمعرفة الحقة استجاب إلى الله عز وجل بل ووقف أمام أكبر طاغية. لم يخف من العوائق بل استجاب للأمر الإلهي

أما حال سحرة فرعون فيه دليل قوي على سرعة الاستجابة لما رأوه من الآيات البينات ومحالات العقول أدركوا عندها الإيمان وجاءت الاستجابة المباشرة[2]، بل كان ردهم لفرعون من أعظم الردود في التاريخ {قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٧٢} (طه: 72). يقول الطاهر عاشور(1984م) :أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه، إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين، وكذلك شأن المؤمنين بالرسل إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته، ولن نؤثر طاعتك أو دينك على ما جاءنا من البينات الدالة على وجوب طاعة الله تعالى. (الطاهر عاشور1984م: 266/16).

شروط تحقق الاستجابة:

لا تتحقق الإستجابة لله عز وجل إلا بعد أن تكون النفس مهيأة لها، فيستيقظ عندها الباعث الفطري والمعرفي والإنفعالي، وتكرس كل مراكز التأثير وكل المعارف لما هو مطلوب منها، فإنه إذا فهمت النفس ما هو مطلوب منها أقبلت منقادة طائعة، حتى وإن وقعت في الذنوب تنيب وترجع إلى الله بما تعلمته من تلك المعارف. وإن من أهم شروط تحقق الإستجابة هي سلامة القلب، والتسليم المطلق لله عز وجل، وتعظيمه في النفس، مع الإقبال عليه بأن تكون مظلة الحياة تحت قوله تعالى : {قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢} (الأنعام: 162).

سلامة القلب: والقلب السليم هو الخالي من الشرك والغل والفساد ولا ينجو العبد إلا به، فيتفاعل مع الموعظة ويسلم لكل ما جاء به الهدي الإلهي، قال تعالى: {إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩} (الشُّعَرَاء:89) يقول الطاهر عاشور(1984م) : والمراد هنا السلامة المعنوية المجازية، أي الخلوص من عقائد الشرك مما يرجع إلى معنى الزكاء النفسي. وضده المريض مرضا مجازيا قال تعالى: في قلوبهم مرض [البقرة: 10] . والاقتصار على السليم هنا لأن السلامة باعث الأعمال الصالحة الظاهرية وإنما تثبت للقلوب هذه السلامة في الدنيا باعتبار الخاتمة فيأتون بها سالمة يوم القيامة بين يدي ربهم[3]. (الطاهر عاشور1984: 150/19)

التسليم المطلق: يقول ابن القيم (1996م) : ومنزلة التسليم هي نوعان: تسليم لحكمه الديني الأمري. وتسليم لحكمه الكوني القدري. فأما الأول: فهو تسليم المؤمنين العارفين. قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥} (النِّسَاء: 65). فهذه ثلاث مراتب: التحكيم، وسعة الصدر بانتفاء الحرج، والتسليم. وأم الثاني فهو التسليم للحكم الكوني: وهي مسألة الرضا بالقضاء[4]. (ابن القيم1996م: 145/2)

---

[1] أنظر الآيات من سورة غافر (28- 45).

[2] أنظر الآيات من سورة طه (65-76).

[3] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق.

[4] ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق.

تعظيم أمر الله: يصف الله عز وجل المؤمنون {أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا } (الأنفال:4) وذلك لحال قلوبهم إذا سمعوا آيات الله وأمره {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَت عَلَيهِم ءَايَٰتُهُۥ زَادَتهُم إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ ٢} (الأنفال: 2)، يقول السعدي (2000م): {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب. {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان. {وَعَلَى رَبِّهِمْ} وحده لا شريك له {يَتَوَكَّلُونَ} أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك[1].(السعدي 2000م: 315) وقال تعالى: {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّم حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ٣٠ } (الحج: 30) وهنا يقصد به تعظيم الأمر والنهي. فتدل الآيتان على حال القلوب عند ذكر الله تعالى وتعظيمها لكل ما جاء من الله تعالى.

الإقبال على الله عز وجل: يقول ابن تيميه(2005م) : والمشايخ الصالحون رضي الله عنهم يذكرون شيئا من تجريد التوحيد وتحقيق إخلاص الدين كله بحيث لا يكون العبد ملتفتا إلى غير الله ولا ناظرا إلى ما سواه لا حبا له ولا خوفا منه ولا رجاء له بل يكون القلب فارغا من المخلوقات خاليا منها لا ينظر إليها إلا بنور الله، فبالحق يسمع وبالحق يبصر، وبالحق يبطش وبالحق يمشي فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله ويوالي منها ما والاه الله ويعادي منها ما عاداه الله ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وتحقيقهم وتوحيده[2]. (ابن تيميه 2005م: 132،133).

يصف الله عز وجل حال المؤمنين المستجيبين لله عز وجل المقبلين له في أواخر سورة آل عمران[3] {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِيا يُنَادِي لِلإِيمَٰنِ أَن ءَامِنُواْ بِرَبِّكُم فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّر عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبرَارِ ١٩٣} (ال عِمرَان: 193). إذ تبين الآيات كيف أثر فيهم التفكر في الكون وكيف حالهم عندما يذكرون الله عز وجل وردت فعلهم تجاه الذكر، وفي كل ما سبق يتضح دور مراكز التأثير في عملية الاستجابة إذ أنها المحرك للمعرفة والعمل.

النوع ثاني: الامتناع عن الاستجابة:

يعرض التصور القرآني نماذج متعددة من الأقوام السابقة عن عدم استجابتهم لدعوة رسلهم أمثال قوم نوح وعاد وثود وفرعون، ونجد في ثناياه تلك الأسباب التي منعتهم من الاستجابة، كما يصور القرآن الكريم حال هؤلاء المتعنتين عند الموت وحال لسانهم بأن يعودوا إلى الدنيا ليستجيبوا لله، وستتناول الباحثة في هذا الجزء امتناع فرعون بشيء من الاختصار.

نموذج قرآني: {وَقَالَ فِرعَونُ ذَرُونِي أَقتُل مُوسَىٰ وَليَدعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُم أَو أَن يُظهِرَ فِي ٱلأَرضِ ٱلفَسَادَ ٢٦} (غَافِر: 26). عند جمع الآيات التي أخبر الله فيها عن فرعون ومعالجة سيدنا موسى عليه السلام لقومه، يظهر منها تلك النفسية المعقدة لفرعون، وكيف أن غروره وملكه وخوفه من زواله صور له أنه إله وأنه هو المتحكم، ويتضح من سياق الآية السابقة كيف قلب الأمر فأصبح هو الخائف على الناس من حوله وعلى دينهم وخوفه على الإفساد في الأرض وهو من قتل أطفال بني إسرائيل وغيرها من الإفساد في الأرض، يقول الطاهر عاشور (1984م) : ومعنى إظهار موسى الفساد عندهم أنه يتسبب في ظهوره بدعوته إلى تغيير ما هم عليه من الديانة والعوائد. وقد حمله غروره وقلة تدبره في الأمور على

[1] السعدي: تفسير الكريم المنان: مرجع سابق.

[2] ابن تيمية: العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط(7) 2005م، المكتب الإسلامي: بيروت.

[3] أنظر الآيات من سورة آل عمران: (190-195).

ظن أن ما خالف دينهم يعد فسادا إذ ليست لهم حجة لدينهم غير الإلف والانتفاع العاجل[1]. (الطاهر عاشور 1984م: 125/24).

ويقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: {ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيرِ سُلطَٰنٍ أَتَىٰهُم كَبُرَ مَقتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ٣٥} (غَافِر: 35) ويظهر من الآية غياب مراكز التأثير وتعطلها، ويتكرر ذلك في جميع الآيات التي يعرضها القرآن الكريم عن المنكرين.قال تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَستَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقرا وَإِن يَرَواْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٢٥} (الأَنعَام : 25)

معوقات الاستجابة:

هي نقيض البواعث التي ذكرتها الباحثة في المبحث الأول. وبما أن البواعث تعمل على دفع النفوس إلى الهداية، فإن المعوقات هي خلل في تلك النفوس تأتي إما من إنحراف فطري أو تشوهات معرفية أو معوقات نفسية داخلية ناتجة عن تصورات مغلوطة، وربما تجتمع جميعها لتبني هذا الحاجز.

الانحراف الفطري: مثل ما حدث مع قوم لوط عليه السلام، عندما انحرفت فطرتهم وكيف أثرت البيئة في تحسين الفطرة المنكوسة ونبذ الفطرة السوية، قال تعالى: {وَلُوطًا إِذ قَالَ لِقَومِهِۦٓ أَتَأتُونَ ٱلفَٰحِشَةَ وَأَنتُم تُبصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُم لَتَأتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَل أَنتُم قَومٌ تَجهَلُونَ ٥٥ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَريَتِكُم إِنَّهُم أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦} (النَّمل: 54-56)

التشوهات المعرفية: منها التصورات المنقوله عن الأجداد في إنكار ربوبية الله عز وجل والبعث وكل ما يتعلق باليوم الآخر والغيب {بَل قَالُواْ مِثلَ مَا قَالَ ٱلأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتنَا وَكُنَّا تُرَابا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبعُوثُونَ ٨٢ لَقَد وُعِدنَا نَحنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبلُ إِن هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٨٣} (المؤمِنُون: 81-83)، ومنها أيضا التشوهات العقدية كالاشراك مع الله عز وجل مع علمهم بأنها لن تنفعهم ولا تضرهم {وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخلُقُونَ شَيا وَهُم يُخلَقُونَ وَلَا يَملِكُونَ لِأَنفُسِهِم ضَرّا وَلَا نَفعا وَلَا يَملِكُونَ مَوتا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورا ٣} (الفُرقَان: 3)

معوقات نفسية داخلية: منها الهوى الذي يعتبر بأنه ميل نفسي، يؤثر على النفس ويجعلها تحيد عن الجادة باتباع الشهوات بلا ضابط ولا منظم حتى لو على حساب الحق، قال تعالى: { فَإِن لَّم يَستَجِيبُواْ لَكَ فَٱعلَم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهوَاءَهُم وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيرِ هُدى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠} (القَصَص: 50) يقول سميح عاطف(1991م): هوى النفس هو ما يتلاعب بها، ليحيدها عن جادة الصواب ويقذف بها إلى أسفل[2]. (سميح عاطف 1991م: 408).

ومنها الاستكبار وهو موقف عقلي وحالة نفسية قائمة على رفض الحق بدافع العلو والأنفة. مما يمنع الاستجابة ويظهر في عدة صور كالعناد والإعراض والجحود. قال تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرجُونَ لِقَاءَنَا لَولَا أُنزِلَ عَلَينَا ٱلمَلَٰٓئِكَةُ أَو نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱستَكبَرُواْ فِي أَنفُسِهِم وَعَتَو عُتُوّا كَبِيرا ٢١} (الفُرقَان :21)، يقول السعدي (2000م) أي: قال المكذبون للرسول المكذبون بوعد الله ووعيده الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد ولا رجاء لقاء الخالق. {لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا} أي: هلا نزلت الملائكة تشهد لك بالرسالة وتؤيدك عليها أو تنزل رسلا مستقلين، أو نرى ربنا فيكلمنا ويقول: هذا رسولي فاتبعوه؟ وهذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض بل بالتكبر والعلو والعتو. {لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ} حيث اقترحوا هذا الاقتراح وتجرأوا هذه الجرأة، فمن أنتم يا فقراء ويا مساكين حتى تطلبوا رؤية الله وتزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك؟ وأي كبر أعظم من هذا؟. {وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار وأصلب

[1] الطاهرعاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق

[2] سميح عاطف: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: مرجع سابق

من الحديد لا تلين للحق، ولا تصغي للناصحين فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات الله البينات بالإعراض والتكذيب والمعارضة، فأي عتو أكبر من هذا العتو؟ " ولذلك بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرموا غاية الحرمان[1]. (السعدي 2000م: 581).

ثالثا: مخرجات الاستجابة:

لا يسلم المؤمن من الخطأ أو الوقوع في عدم الاستجابة فهذا من السنن الكونية، ولكن المحك فيها لمن يرجع وينيب إلى الله عز وجل، وإن من أهم مخرجات الاستجابة التي تعين الفرد في حياته وترفع درجاته حيث تجعله على صلة دائمة مع الله وتحصنه من العوامل المؤثرة التي تنقص حياته، وذلك لمعرفته الغرض من هذه الحياة وما فيها من صعوبات، وأن المخرج الأساسي وهو ابتغاء الدار الآخرة والفوز والاسلام والطمأنينة الدائمة، وعليه فإن المعرفة تقتضي العمل (الاستجابة) لتأتي النتيجة وهي الفلاح، قال تعالى عن حال لسان الفئة المستجيبة يوم القيامة: {وَقَالُواْ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذهَبَ عَنَّا ٱلحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُور شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ ٱلمُقَامَةِ مِن فَضلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَب وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوب ٣٥} (فاطر: 23-35)

أولا: الاصال المستمر بالله عز وجل:

من خلال الدعاء: و الدعاء هو توجه العبد إلى ربه بكل ما يحتاجه ويطلبه في دنياه وأخراه. قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلِيَستَجِيبُواْ لِي وَلِيُؤمِنُواْ بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ ١٨٦} (البَقَرَة : 186)، حيث جعل الله عز وجل باب مفتوح مباشر بين عباده، يقول الخطابي (1992م): ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه – عز وجل– العناية واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود، والكرم إليه.[2](الخطابي 1992م: 4).

الترقي والنمو: قال تعالى: {وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهتَدَواْ هُدى ٧٦} (مَريَم : 76)

الرفعة: قال تعالى: {يَرفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلمَ دَرَجَٰت وَٱللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِير ١١}(المجَادلَة : 11)

زيادة الإيمان بالذكر: قال تعالى: {إِنَّمَا ٱلمُؤمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَت عَلَيهِم ءَايَٰتُهُ زَادَتهُم إِيمَٰنا وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ ٢} (الأَنفَال: 2)،

المحافظة على الكليات الخمسة: الاستجابة ليست سلوك فردي بل تؤدي إلى المحافظة على كليات الدين التي بها قوام المجتمع والحياة، وهي على التالي: حفظ الدين: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُستَقِيما فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ١٥٣}(الأَنعَام: 153) فالاستجابة هنا تحفظ المؤمن من الإنحراف عن الطريق، وحفظ النفس {وَلَا تَقتُلُواْ ٱلنَّفسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلحَقِّ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ ١٥١} (الأَنعَام: 151) تحمي النفس البشرية والمجتمع من الإفساد في الأرض بالاعتداء والفناء، حفظ العقل {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا ٱلخَمرُ وَٱلمَيسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزلَٰمُ رِجس مِّن عَمَلِ ٱلشَّيطَٰنِ فَٱجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ٩٠} (المائِدَة: 90) تحقيق سلامة العقل الذي هو أداة التكليف، حفظ النسل: {وَلَا تَقرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَة وَسَاءَ سَبِيلا ٣٢} (الإسرَاء : 32) تعمل على منع النفوس من الاقتراب من حرمات الله التي بدورها تعمل على سلامة المجتمع من الإنحلال والإنحراف، حفظ المال {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأكُلُوٓاْ أَموَٰلَكُم بَينَكُم بِٱلبَٰطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاض مِّنكُم وَلَا تَقتُلُوٓاْ أَنفُسَكُم إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُم رَحِيما ٢٩} (النِّسَاء : 29) تحقيق الأمن المالي والعدالة، وعند البحث نجد كثير من الآيات التي تعالج هذه الأمور وتدفع للمحافظة عليه.

[1] السعدي: تفسير الكريم المنان: مرجع سابق.

[2] شأن الدعاء: للخطابي، ط(3): 1992، مدار الثقافة العربية.

تحقيق الثقوى: التي هي من أهم ثمرات الإستجابة وهي أساس الفلاح {۞ وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغفِرَة مِّن رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلأَرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقِينَ ١٣٣} (ال عِمرَان : 133) وصف الله عز وجل الذين يسارعون (المستجيبون) أنهم أهل التقوى والفلاح.

اليقين بموعود الله عز وجل: {ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِم وَأَنَّهُم إِلَيهِ رَٰجِعُونَ ٤٦}(البَقَرَة : 46)

ثانيا: الحصانة من العوامل الخارجية:

لا تخلو الحياة الدنيا من المصاعب والمتاعب التي تؤثر على نفوس الأفراد نتيجة كوارث أو ابتلاءات التي تكدر صفو النفوس، ويخبر الله عز وجل أن الدنيا متاع، وأن الابتلاء جزء من هذه الدنيا ليرى من يصبر ومن يجزع قال تعالى: {ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلموتَ وَٱلحَيَوٰةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلا وَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلغَفُورُ ٢} (الملك: 2) وفي قوله تعالى: {وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ ٱلخَوفِ وَٱلجُوعِ وَنَقص مِّنَ ٱلأَموَٰلِ وَٱلأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥} (البقرة: 155)

الثبات عند المصائب والابتلاءات: عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1] (مسلم: 2999/2295/4)

الصبر: الصبر من أعظم ثمرات الاستجابة لله عز وجل لما يبعثه في النفس من سكينة واطمئنان، قال تعالى: {يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱستَعِينُواْ بِٱلصَّبرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ لَا تَقُولُواْ لِمَن يُقتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَموَٰتُ بَل أَحيَاء وَلَٰكِن لَّا تَشعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ ٱلخَوفِ وَٱلجُوعِ وَنَقص مِّنَ ٱلأَموَٰلِ وَٱلأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَٰبَتهُم مُّصِيبَة قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰئِكَ عَلَيهِم صَلَوَٰت مِّن رَّبِّهِم وَرَحمَة وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلمُهتَدُونَ ١٥٧} (البَقَرَة: 153-175) والصبر لا يأتي إلا من خلال معرفة تامة يتبعها سلوك عملي، ويخبر القرآن الكريم بلقاء سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر وحديثه عن الصبر بأنه لا يتأتي من غير علم: {قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَل أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشدا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا ٦٧ وَكَيفَ تَصبِرُ عَلَىٰ مَا لَم تُحِط بِهِۦ خُبرا ٦٨} (الكَهف: 66-68) وكذلك الصبر عند الازمات لا يتأتى إلا بقوة الاتصال بالله عز وجل

المبحث الثالث: الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسة تحمل نفس العنوان أو تعالج المضمون ذاته، سواء من حيث المتغير المستقل أو المتغير التابع، وفق رؤيتها لموضوع الدراسة.

إذ وجدت الدراسات السابقة إما من منظور لغوي أو فقهي أو شرعي، دون الربط بين الجانب النفسي والجانب الإسلامي الذي يتناول البواعث النفسية الدافعة بالأفراد إلى الاستجابة للهدى الإلهي، مع الربط بين المنهج الاستقرائي للآيات موضوع الدراسة وتحليلها، للوصول إلى تأصيل علمي يجمع بين البعد النفسي والبعد الإسلامي.

كما وقفت الباحثة على بعض الدراسات التي قد تتقاطع مع بعض المباحث أو المطالب موضوع الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

1. دراسة ناصر فياض (2013م) بعنوان الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير:

تبحث هذه الدراسة في موضوع الاستجابة والأعراض في القرآن الكريم، من خلال الآيات القرآنية وتكمن أهمية هذه الدراسة بإبراز قضيتها من خلال الحديث عن الاستجابة، ومالها من آثار في الحياة الدنيا، ومنزلة رفيعة عند الله يوم القيامة. والتحذير من الأعراض وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة. وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي مع تطبيق منهجية

[1] مسلم: صحيح مسلم: مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق: باب المؤمن أمره كله خير

التفسير الموضوعي للإجابة عن الاسئلة التي كانت نتائجها تفيد بأن الاستجابة حكمها واجب، وأن لها أنواع وأن الأخلاق الحميدة تتولد من خلال الاستجابة لله تعالى.

2. دراسة ستي سارة صحيفة (2025م) بعنوان: مفهوم القلب السليم في القرآن الكريم وعلاقته بتقويم الشخصية الإسلامية (دراسة مقارنة بين تفسير الشعراوي وتفسير روح المعاني) رسالة مقدمة لنيل درجة اللسانس:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة معنى القلب السليم في القرآن الكريم وعلاقته بتقويم الشخصية الإسلامية بين تفسير محمد متولي الشعراوي ومحمود الألوسي، وكذلك منهج التفسير الذي استخدمه كل منهما. استخدمت الباحثة الدراسة على منهج النوعية الكيفي باستخدام أسلوب الدراسة المكتبية لجمع البيانات والمعلومات من مصادر أدبية متنوعة، مع تحليل البيانات باستخدام المنهج المقارن والمنهج التحليلي. فتشمل نتائج هذه رسالة البحث بأن أوجه الاختلاف في تفسير معنى القلب السليم، بالنسبة لمحمد متولي الشعراوي، فإن سلامة القلب هي أساس الدين والعقيدة لأن فطرة الإنسان هي امتلاك قلب سليم، وهو القلب الذي يخلو من الرياء. بينما محمود الألوسي يفسر القلب السليم على أنه القلب الخالي من كل الأمراض المتعلقة بالعقيدة والأخلاق. أما علاقة القلب السليم بتقويم الشخصية الإسلامية هو أن القلب السليم الخالي من الشرك، والنفاق، والرياء، والتعلق بالدنيا والصفات السيئة، فيؤثر في عقيدة الإنسان لتصبح عقيدة صحيحة (عقيدة إسلامية) من خلال العبادة والطاعة لله، وتطهير القلب من كل ما يفسد تلك العقيدة.

3. دراسة سيف بن حمود، رضوان جمال (2021م) بعنوان محاولات ونظريات في فهم دوافع السلوك بين علماء النفس الغربيين والمسلمين، دراسة علمية منشورة بمجلة الرسالة، المجلد 5 العدد 2 :

تهدف هذه الدراسة إلى الاجابة عن إشكالية الدوافع السلوكية وما موقع علماء النفس المسلمين منها والحاجة لتكوين رؤية خاصة بهم، حيث بينت الدراسة الرؤى المتعددة في فهم نشأة السلوك ودوافعه بين علماء النفس عامة ثم عرض رؤية تأصيلية لعلماء النفس المسلمين وتوصلت الدراسة إلى أن دوافع السلوك معقدة بتعقد التكوين الإنساني، وأن النظريات على تنوها أسهمت في تقديم رؤية معينة ومحددة، غير أن التمايز في المعتقد الديني الإسلامي فرض رؤية خاصة به حول الدوافع السلوكية وأن منهجه لا يقتصر على رؤية واحدة بل متعددة بتنوع أفهام الباحثين المسلمين فيها.

4. دراسة عمر عبد الهادي، نزار مسند(2019م) بعنوان آليات التأثير والإقناع في آيات "قل" في القرآن الكريم دراسة لغوية، دراسة علمية منشورة بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 46 العدد2:

هدفت الدراسة إلى التعرف على آليات التأثير والإقناع الواردة في (آيات "قل") في القرآن الكريم، وانتهجت الدراسة المنهج التحليليّ اللّغويّ؛ للكشف عن هذه الآليات، والتعرف على دورها في سرعة ظهور استجابة المتلقي وقبوله هذا الخطاب، وأبرزت الدراسة أنّ القرآن الكريم ثريّ بهذه الأفانين اللّغويّة، كماً ونوعاً، وذلك تناسبا مع طبيعة المتلقي والظروف المحيطة بالعملية الحجاجيّة والهدف منها. فالمتلقي أنواع أربعة فيما يرى الباحث: المؤمنون، الكافرون، أهل الكتاب، المنافقون. وهذا التقسيم يستدعي تنوعاً في الأساليب اللّغويّة التي جاءت واضحة في النص القرآنيّ. واختتمت الدراسة ببعض التوصيات التي منها عقد ندوات ومؤتمرات حول مسألة الحجاج اللغوي في القرآن الكريم

5. دراسة خالد خالد (2021م) بعنوان الأسلوب التربوي لدلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسة علمية نشرت في دورية "Kalemname" مجلد 6 العدد11:

هدفت الدراسة إلى التعرف على كيفية تصيل القرآن الكريم في مسألة تهيئة النفوس لاستقبال الأوامر الإلهية والطرق التربوية التي عرضها القرأن الكريم في استخدام أساليب الأمر التي تحبب التكاليف إلى المخاطب، وتعتمد الدراسة على المنهج التحليلي مع تداخل بعض المناهج معه كالمنهج الاستقرائي، وحاولت الدراسة الإجابة على الاسئلة التي كانت من نتائجها التدرج في تطبيق الأوامر الإلهية مراعيا أحوال النفوس وما كانت عليه، وركزت نتائج الدراسة أيضا على تعزيز مبدأ تنفيذ القدوة للأوامر قبل المكلفين، والمسارعة إلى تنفيذ تلك الأوامر، وتبليغها تبليغا حسنًا لا استكراه فيها ولا استثقال، وربط العلم بالعمل. واختتمت الدراسة ببعض التوصيات التي من أهمها أن يتم العمل على وضع خطط لأبحاث تستنبط أساليب تربوية للأمر في القران الكريم من سوره وذلك من خلال استيعاب القرآن الكريم لتلك الأساليب

6. دراسة دخيل بن عبد الله الدخيل (1442هـ) بعنوان منهج القرآن في استجابة المكلف للأحكام الشرعية دراسة تطبيقية، دراسة علمية منشورة في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، المجلد 8 العدد 85:

هدفت الدراسة إلى بيان المنهج القرآني في عرض الأحكام الشرعية بمقاصدها وتعليلها، مع إبراز العناية الإلهية بمراعاة النفس البشرية في قبول الأحكام، وتعتمد الدراسة على المنهج الوصفي في القسم النظري منها والمنهج الاستقرائي التحليلي في القسم التطبيقي، وحاولت الاجابة عل الاسئلة التي كانت من نتائجها أن في آيات الأحكام نظما عجيبا يوافق تقرير الحكم المراد إثباته، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل نجد مراعاة حال المخاطب بقبول هذا الحكم والإذعان له، والحرص على الامتثال له، واختتمت الدراسة ببعض التوصيات بالحاجة إلى دراسة متكاملة لجميع الأحكام الشرعية في القرآن الكريم.

7. دراسة انتصار زين العابدين (2013م) بعنوان البناء النفسي في القرآن الكريم، دراسة علمية منشورة في مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد39:

هدفت الدراسة للتعرف على البناء النفسي في القرآن الكريم معتمدة فيه على المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على العوامل المؤثرة في البناء النفسي وحاولت الدراسة الإجابة على الاسئلة التي كانت نتائجها أن لكل ذات حدود وقدرات ومعرفتها تبعث في النفس نوع من الاطمئنان. وبينت نتائج الدراسة أن الإيمان يجعل المؤمن صاحب شخصية متوازنة وهو ما دعا له القرآن الكريم.

8. دراسة جاسمية محمد شمس الدين (2019م) بعنوان أثر القرآن والسنة في انضباط النفس البشرية، دراسة علمية منشورة في مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، المجلد 14 العدد93 :

هدفت الدراسة إلى البحث عن خصائص النفس البشرية، وكيف أن الشريعة الإسلامية لم تترك النفس على هواها، بل جعلت لها ضوابط يجب التقيد بها؛ حتى تسلم من المهالك في الدنيا والآخرة. وحاولت الدراسة الاجابة على التساؤلات التي كان من نتائجها الشريعة الإسلامية ضبطت النفس البشرية بوضع تشريعات تناسب التكوين البشري، وركزت النتائج على أن الحياة لا يمكنها أن تستقيم بعيدا عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. واختتمت ببعض التوصيات بدعوة علماء النفس والاجتماع والشريعة إلى التعاون لبيان أسباب الاخلال الموجود في المجتمع ومحاولة القضاء عليه.

الفصل الثالث منهج الدراسة وإجراءاته

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، حيث عملت على جمع النماذج القرآنية التي تتعلق بالاستجابات سواء كانت استجابات فردية أو جماعية، ثم العمل على تحليلها لاستنباط البواعث النفسية المشتركة التي دفعت للاستجابة إلى الهدي الإلهي.

تعريف المنهاج المتبعة[1]:

المنهج الاستقرائي:

هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البينات عنها للتواصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية. (محمد سرحان 2019: ص 73)

المنهج التحليلي:

هو أسلوب يقوم على وصف منظم ودقيق لنصوص مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها وتعريف مجتمع الدراسة الذي سيتم اختيار الحالات الخاصة منه لدراسة مضمونها وتحليله. (محمد سرحان 2019: ص 60)

المنهج الاستنباطي:

هو منهج أسلوبه الشرح والنظر والتفكر والتأمل والتحليل، وينتقل من الكل إلى الجزء أو من العام إلى الخاص. (محمد سرحان 2019: ص 74)

مجتمع البحث:

يتمثل مجتمع البحث في جميع الآيات القرآنية التي تتعلق بآيات الفئة المستجيبة، فلا تحده فئات بشرية.

عينة البحث:

تعتبر عينة البحث من داخل القرآن الكريم واختارت الباحثة عشرون سورة لدراستها تتعلق بمجتمع البحث.

أدوات البحث:

اعتمدت الباحثة على أدوات نظرية ويرجع ذلك لاختيارها لأسلوب البحث التأصيلي الذي يعتمد على تحليل النصوص القرآنية من أجل تحقيق أهداف البحث، مع العمل على توظيف المفاهيم النفسية المتعلقة بالبواعث والاستجابات. لفهم العمق النفسي لنصوص القرآن، مع الاعتماد على المعاجم اللغوية لفهم الدلالات اللغوية للألفاظ، واستخدام كتب التفاسير في تحليل كل الآيات موضوع البحث.

الفرضيات:

1. يوجد إرتباط بين البواعث النفسية وقوة الاستجابة.
2. توجد عدة أنواع للاستجابة للهدي الإلهي.
3. يوجد تباين بين العوامل التي تسرع أو تمنع من الاستجابة.
4. يوجد في القرآن الكريم ما يعين على بناء النفوس.

[1] محمد سرحان: مناهج البحث العلمي: ط (3) 2019، دار الكتب: صنعاء.

الفصل الرابع: عرض النتائج ومناقشة الفروض

عرض ومناقشة الفرض الأول: الذي نصه (يوجد ارتباط بين البواعث النفسية وقوة الاستجابة).

وبالتحليل والاستقراء لهذا الفرض وبالنظر إلى الفرض الأول قسمت الباحثة البواعث التي تؤثر في قوة الاستجابة إلى باعث فطري وباعث معرفي وباعث انفعالي، والذي جاءت نتيجته " وجود ارتباط قوي بين البواعث النفسية وقوة الاستجابة وذلك بأنه كلما كانت البواعث في نفس قوية مع العمل على اكتسابها كانت الاستجابة أسرع".

وبالرجوع إلى الإطار النظري وجدت الباحثة بأن البواعث النفسية تكمن في:

- أن الله عز وجل قد أودع في النفوس ما يحثها على البحث عن خالقها وخالق الكون والغاية من خلقها.
- أن الباعث الفطري وحده لا يكفي، لأنه قد ينحرف أو يفسد وأنه وحده لن يصل إلى الإجابة المطلوبة.
- أطلقت الباحثة على دور الرسل وما قاموا به بالباعث المعرفي.
- إن أول ما عمل عليه القرآن الكريم هو التصورات وعالم الأفكار، فخاطب العقول بما تفهمه وتعقله بالدلائل الواضحة وبالمنطق البين الخالي من العوج.
- قبل بناء معارف جديدة لابد من التهيئة الأولية لتلك العقول وتخليتها من كل التشوهات المعرفية والعمل على تصحيح الأفكار المغلوطة، وتعديل الفطرة.
- من أهم الأمور التي عمل التصور القرآني على تصحيحها، بيان الغاية من الخلق، وأن الأمر كله لله، وتصحيح التصورات عن عالم الغيب، وتعديل السلوكيات السلوكيات الشاذة.
- إن عملية التصحيح تقتضي البناء، فعند التخلص من أفكار ومعارف مشوهه أو مغيبة يتم استبدالها ببناء معارف جديد، تُكوِّن عالم الأفكار وتوجه السلوك
- من أهم ما بناه القرآن في النفوس هو المحفز الداخلي، والمراقبة الذاتية.
- استخدم القرآن الكريم أساليب شتى ما بين تحذير وترقيب للمحافظة على هذا البناء والسعي دائما لإصلاحه وتعهده.
- جعل الله عز وجل في النفوس مراكز تتأثر بالمعرفة وتعمل كأدوات فعالة معها ومنها السمع والقلب والعقل، وأن حقيقتهم في القرآن الكريم تقتضي إعمالهم في الحق.
- راعى القرآن الكريم حال المأمور عند التكليف، فجاءت التكليفات تناسب العباد جميعهم، ووضعت لها الرخص عند عدم القدرة مع الانتباه بأن تحديد هذه القدرة والاستطاعة وفق المنظور الإلهي وليس بمنظور البشر، كما راعى أنه لديه رغبات وحاجات فنظمها وضبطها.
- تؤكد الباحثة أن الباعث المعرفي هو الأساس لما قبله أي الباعث الفطري، وما بعده وهو الباعث الإنفعالي.
- ركزت الباحثة على الجانب الإيجابي من الباعث الأنفعالي، حيث وقفت على اثنين منهم وهما إنفعال الخوف وإنفعال المحبة للتلازم الذين بينهما.
- أكدت الباحثة على أن ثمرة الخوف هي الخشية، التي تقتضي الخوف من الله وحده.
- إن المحبة تكتمل في تحقيق العبودية كما أمر الله بها مع الانقياد والتسليم التام لكل ما أتت به المعارف.
- استنتجت الباحثة أنه كلما كانت البواعث في نفس قوية مع العمل على اكتسابها كانت الاستجابة أسرع.
- تختلف الدراسات السابقة عن ما تناولته الباحثة في هذا الجانب من حيث تقسيم البواعث النفسية وتناولها من منظور شرعي نفسي.
- تقاربت نظرة الباحثة مع دراسة جاسمية محمد شمس الدين (2019م) حيث وضعت قواعد تعين على ضبط العقيدة فتناولتها بشيء من التفصيل، مثل عدم الخوض في الأمور الغيبية، اليقين بقدرة الله وعظمته وجبروته، والإيمان بالقضاء والقدر. وجاء هذا التقارب في ما وضعته الباحثة من باعث معرفي ودوره في بناء التصورات الفكرية والعقدية وتصحيحه.

عرض ومناقشة الفرض الثاني: الذي نصه(توجد أنواع متعددة للاستجابة للهدي الإلهي).

وعند تحليل الآيات القرآنية وجدت الباحثة أن النتيجة جاءت كالآتي" وجد أن هنالك أنواع مختلفة للاستجابة ما بين سرعة وتأخر وبين تردد وامتناع، وأن في القرآن استجابات فردية وجماعية"، وقد تناولت الباحثة نوعين منهما وهما سرعة الاستجابة والامتناع عن الاستجابة.

وبرجوع الباحثة إلى الإطار النظري نجد نتائجهما على النحو التالي:

– أن للاستجابة أسماء متعددة في القرآن الكريم.

– امتلاء القلب بالمعرفة وتجسدها في سلوك الإنسان وأفكاره وانفعالاته، يجعل الاستجابة تأتي بسرعة عن حب ورغبة.

– أن رؤية الآيات البينات والدلائل الواضحات والمحالات التي تدركها العقول تؤثر على سرعة الاستجابة كما في حال سحرة فرعون {فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠} (طه: 70)

– معرفة الجزاء والأجر يجعل هنالك إقبال مباشر على الاستجابة كما في حال أبي طلحة رضي الله عنه عندما سمع قول الله عز وجل {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92]

– إن الاستجابة لها ثمرات في الدنيا والآخرة.

– أن الاستجابة تحتاج إلى تكريس جميع مراكز التأثير لفهم المعارف والتعامل معها.

– غياب مراكز التأثير عن دورها الحقيقي يمنع الاستجابة، قال تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَستَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِم وَقرا وَإِن يَرَوا۟ كُلَّ ءَايَة لَّا يُؤمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ ٢٥} (الأنعام : 25)

– أكدت الباحثة على أن هنالك معوقات تمنع الاستجابة وهي إما انحراف فطري أو تشوهات معرفية أو معوقات نفسية ناتجة عن تصورات مغلوطة.

– اختلفت الباحثة دراسة ناصر فياض (2013م) إذ يظهر هنالك تشابه في بعض المطالب والمباحث، إلا أنها تناولت الاستجابة والإعراض من منظور شرعي متخلف ولم تطرق إلى المنظور النفسي، وقسم أنواع الاستجابة إلى: الاستجابة العامة للدعوة إلى الله، والاستجابة في تطبيق أحكام الله عز وجل، واستخدم نماذج مختلفة مثل نموذج استجابة قوم يونس عليه السلام، وملكة سبأ. وجعل أسباب ال'راض تتمثل في الكبر، حب الدنيا، عدم الاحتكام إلى شرع الله، عدم الامتثال إلى توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم. كما تعرض إلى نماذج قرآنية مختلفة مثل إعراض قوم لوط عليه السلام..

عرض ومناقشة الفرض الثالث: الذي نصه (يوجد تباين بين العوامل التي تسرع أو تمنع من الاستجابة).

عند تحليل أنواع الاستجابات والتفرقة بينهم تبين للباحثة النتيجة الآتية: " وجد أن هنالك عوامل تعمل على تعدد تلك الاستجابات، وهي ما أطلقت عليها الباحثة بالبواعث النفسية ومعوقات الاستجابة".

وبرجوع الباحثة إلى الإطار النظري يمكن تفصيلها على النحو التالي:

– **أولًا الفطرة**: لها دور كبير في التأثير على الاستجابة، وذلك لما أودعه الله في النفوس من الحاجة إلى قوة تلجأ إليها ويمكن تفصيلها كالتالي:

– سلامة الفطرة عامل أساسي ومن أهم البواعث التي تؤثر على الاستجابة

– يقول الطاهر عاشور (1984م) : ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له مثل إثبات الوحدانية لله لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلقن اعتقادا ضالا لاهتدى إلى التوحيد بفطرته[1]. (الطاهر عاشور 1984م: 90/21).

[1] الطاهر عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق

– إنحراف الفطرة من أهم العوائق التي تمنع الاستجابة بل تعمل على تحسين القبيح وتشويه الحسن، كما حدث مع قوم لوط عليه السلام: { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ } (النَّمل: 56).

– **ثانيًا المعرفة:** حيث أن المعرفة هي المؤثر الحقيقي على النفوس بين إقبال وامتناع.

– نجد أن المعرفة عملت على تصحيح التشوهات المعرفية والتصورات الخاطئة التي تمنع الاستجابة، كما عملت على بناء معارف جديد في النفوس تجعلها تقدم على الاستجابة كتنمية المحفز الداخلي والمراقبة الذاتية.

– عملت المعرفة أيضا على توجيه التصور عن الإله والكون والنفس.

– ومن التشوهات المعرفية التي تمنع الاستجابة التي عمل القرآن على تعديلها كالتشوهات المنقولة عن الآباء والأجداد في النظر إلى الكون وعالم الغيب، والتشوهات العقدية كالإشراك مع الله عز وجل.

– **ثالثًا الحالة النفسية والانفعالات:** للحالة النفسية والشعور الداخلي دور كبير في عوامل الاستجابة، إذ أن هنالك فرق بين الحالة النفسية وانفعالات المستجيب، وبين الممتنع.

– فالمستجيب لديه باعث انفعالي قوي يكتسبه من خلال المعرفة، ويعمل على تهذيب نفسه والامتثال إلى الله عز وجل، ومن هذه الانفعالات الخوف والمحبة وغيرهما.

– يتمثل الخوف في الحالة الإيجابية التي تمنع النفس من الوقوع في كل ما نهى الله عنه، وإتيان كل ما أمر الله به.

– أكدت الباحثة على أن ثمرة الخوف هي الخشية.

– يذكر سميح عاطف (1991م) في معرض حديثه عن الخشية في قلب المؤمن بأنه هو الذي يخشع لذكر الله تعالى، ويغشاه جلاله فيتمثل عظمته وقدسيته. والإنسان المؤمن يخاف الله تعالى لمجرد الذكر، أكان في نفسه شعور بالتقصي والذنب أو ندم على فعل مضى قد أتاه في ساعة غفلة. لأنه يستشعر بالذكر العظيم عذاب الله الشديد, وآلام ذلك العذاب ومآسيه.[1] (سميح عاطف 1991م: 476)

– أما إنفعال المحبة فيكتمل بتحقيق العبودية كما أمر الله بها مع الانقياد والتسليم التام لكل ما أتى به الهدي الإلهي.

– يقول نجاتي (2001م) : يلعب إنفعال الحب دورا هاما في حياة الناس، فهو الرابط الوثيق الذي يربط الإنسان بربه ويجعله مخلصا في عبادته واتباع منهجة، وأن حب المؤمن الكامل الإيمان حب عام شامل، يسع الكون كله.[2] (نجاتي 2001م: 82، 83).

– أما المعوقات النفسية التي تمنع الاستجابة كالهوى الذي يعتبر بأنه ميل نفسي، يؤثر على النفس ويجعلها تحيد عن الجادة باتباع الشهوات بلا ضابط ولا منظم حتى لو على حساب الحق.

– يقول سميح عاطف(1991م) : الهوى النفس هو ما يتلاعب بها، ليحيدها عن جادة الصواب ويقذف بها إلى أسفل[3]. (سميح عاطف 1991م: 408).

– ومنها الاستكبار وهو موقف عقلي وحالة نفسية قائمة على رفض الحق بدافع العلو والأنفة. مما يمنع الاستجابة ويظهر في عدة صور كالعناد والإعراض والجحود.

– تختلف الدراسات السابقة في تناولها لهذه الفرضية وذلك لاختلاف الطرح الذي تطرقت له الباحثة.

[1] سميح عاطف: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: مرجع سابق.

[2] نجاتي: القرآن وعلم النفس: مرجع سابق.

[3] سميح عاطف: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: مرجع سابق

عرض ومناقشة الفرض الرابع: الذي نصه (يوجد في القرآن الكريم ما يعين على بناء النفوس).

وبالتحليل والاستقراء جاءت النتيجة لهذا الفرض(وجد عند النظر إلى القرآن الكريم أنه يحتوي على أصول ومبادئ نفسية متكاملة لبناء النفوس، فهو ليس كتاب أحكام وتشريعات فقط بل كتاب هداية وتربية نفسية) يقول تعالى: {إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩} (الإسرَاء: 9)، ويقول أيضا {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧} (يُونُس: 57). ويقدم القرآن مفاهيم مختلفة تعطى منظور نفسي مختلف للحياة ويجعل لها معنى

وبرجوع الباحثة إلى الإطار النظري يمكن استباط ما يعين على بناء النفوس بالتالي:

– أعطى القرآن الكريم هذه النفس ميزة وخصها بها وهي الاستغفار وفتح باب التوبة، وتضعيف الحسنات، {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥} (ال عِمرَان: 135)

– ربط كل الأعمال بالنية وأن يكون المراد من الاعمال ابتغاء رضوان الله

– يقول محمد مصطفى (2024م) : إن عمل القلب بالقصد والإخلاص يدفع المرء إلى بذل أقصى ما في وسعه من جهد وطاقة، والسعي إلى كل ما يمكن أن يصل إليه من معرفة، أو مهارة ليحقق الهدف الذي يسعى إليه في عمله بل حياته كلها.[1] (محمد مصطفى2024م: 51)

– دعى إلى تفعيل مراكز التأثير لفهم المراد من الأوامر الإلهية وكيفية التعامل معها، لتنمية المعارف الإيمانية.

– قدم القران وسائل عملية تساعد على بناء النفس كالصبر والتقوى

– قدم القرآن وسائل عملية تساعد على محافظة سلامة القلب وتخليته من الشرك والغل والفساد.

– دعى القرآن الكريم إلى تعظيم الحق في النفوس وذلك بتقديس وتعظيم كل ما آتى في الهدي الإلهي وبالاحتكام إليه في كل الأمور.

– تنمية المعرفة الإيمانية بتدبر القرآن الكريم الذي يعمل على بناء النفوس وتنمية المحفز الداخلي.

– وضح القرآن الوسائل التي تعين على تزكية النفس وذلك ببناء المراقبة الذاتية في النفوس.

– يحث القرآن على الاقبال على الله عز وجل والتقرب إليه بالدعاء والذكروشتى الوسائل.

– يقول ابن تيميه(2005م) : والمشايخ الصالحون رضي الله عنهم يذكرون شيئا من تجريد التوحيد وتحقيق إخلاص الدين كله بحيث لا يكون العبد ملتفتا إلى غير الله ولا ناظرا إلى ما سواه لا حبا له ولا خوفا منه ولا رجاء له بل يكون القلب فارغا من المخلوقات خاليا منها لا ينظر إليها إلا بنور الله، فبالحق يسمع وبالحق يبصر، وبالحق يبطش وبالحق يمشي فيحب منها ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله ويوالي منها ما والاه الله ويعادي منها ما عاداه الله ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وتحقيقهم وتوحيده[2]. (ابن تيميه 2005م: 132،133).

– وتختلف الباحثة مع الدراسات الموجودة في تناولها لهذه الفرضية، فقد تناولت دراسة انتصار زين العابدين (2013م) البناء الموضوعي للذات في القرآن الكريم، حيث عرفت البناء الموضوعي بأنه هو مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة والتعامل معها على ما هي عليه بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية، وتناولت بالشرح البناء الموضوعي في عدة عناصر وهي: معرفة حدود الذات، نبذ الآبائية، إنصاف الناس وعدم هضم حقوقهم، النظرة التفصيلية، نقد الذات، المروة الذهنية.

[1] محمد مصطفى: الأربعون النفسية: مرجع سابق.

[2] ابن تيمية: العبودية: مرجع سابق.

الفصل الخامس: الخاتمة النتائج والتوصيات

الخاتمة:

سعى هذا البحث لدراسة البواعث النفسية للاستجابة للهدى الإلهي في ضوء القرآن الكريم، وذلك بهدف التعرف على مفهوم البواعث النفسية في ضوء القرآن الكريم، واستباط أنواع الاستجابة منها، ثم الكشف عن العوامل التي تسرع أو تمنع الاستجابة، ولتحقيق هذا الهدف اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، من خلال جمع النماذج القرآنية وتحليلها، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وهي على النحو التالي.

النتائج:

– وجود ارتباط قوي بين البواعث النفسية وقوة الاستجابة وذلك بأنه كلما كانت البواعث في نفس قوية مع العمل على اكتسابها كانت الاستجابة أسرع.

– وجد أن هنالك أنواع مختلفة للاستجابة ما بين سرعة وتأخر وبين تردد وامتناع، وأن في القرآن استجابات فردية وجماعية.

– وجد أن هنالك عوامل تعمل على تعدد تلك الاستجابات، وهي ما أطلقت عليها الباحثة بالبواعث النفسية ومعوقات الاستجابة.

– وجد عند النظر إلى القرآن الكريم أنه يحتوي على أصول ومبادئ نفسية متكاملة لبناء النفوس، فهو ليس كتاب أحكام وتشريعات فقط بل كتاب هداية وتربية نفسية .

التوصيات:

– العمل على زيادة استنباط بواعث نفسية تؤثر في الاستجابة من القرآن الكريم.

– التوسع في بقية أنواع الاستجابات التي لم تتطرق لها الباحثة، من خلال دراسة النماذج القرآنية,

– الاستزادة والوقوف على معوقات الاستجابة.

– استخراج برنامج لنماء النفوس من القرآن الكريم .

المقترحات:

– بحث في البواعث النفسية للاستجابة عند الأنبياء عليهم السلام، واستخلاص الأطر التربوية منها.

– بحث في معوقات الاستجابة من منظور نفسي قرآني.

– بناء برنامج تربوي مستمد من القرآن الكريم لتنمية البواعث النفسية لطلاب كلية علم النفس الإسلامي.

– فاعلية برنامج إرشاد نفسي إسلامي لمعالجة معوقات الاستجابة.

المصادر والمراجع والملاحق

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب الحديث:

1. البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، ط(1) 1422هـ، دار طوق النجاة.
2. مسلم: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، د.ط: د.ت، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

ثالثا: المعاجم:

3. ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي: ط(1) 2000م، دار الكتب العلمية: بيروت
4. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دط،1399، دار الفكر.
5. ابن منظور: لسان العرب، ط(3) 1414هـ، دار صادر: بيروت.
6. أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط(1) 2001م، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
7. الجرجاني: التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط(1) 1983هـ، دار الكتب العلمية: بيروت.
8. الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرئي، د.ط/د.ت/ دار ومكتبة الهلال.

رابعا: كتب التفسير:

9. ابن العثيمين: تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، ط(3) 1435، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: السعودية
10. ابن العثيمين: تفسير سورة الكهف، ط (1) 1423هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع: السعودية
11. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، ط(1) 1412هـ، دار القلم، الدار الشامية: دمشق، بيروت.
12. السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا، ط(1) 2000م، مؤسسة الرسالة.
13. الطاهر عاشور: التحرير والتنوير، د.ط 1984، الدرار التونسية للنشر: تونس.

خامسا: المراجع:

14. ابن القيم: مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط(3) 1996م، دار الكتاب العربي: بيروت.
15. ابن القيم: روضة المحبين ونزهة العاشقين: د.ط 1403هـ، دار الكتب العلمية: بيروت.
16. ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط(2) 1394هـ دار السلفية: القاهرة.
17. ابن القيم: بدائع الفوائد، د.ط، د.ت، دار الكتاب العربي: بيروت
18. ابن تيمية: العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط(7) 2005م، المكتب الإسلامي: بيروت
19. الخطابي: شأن الدعاء، ط(3): 1992، مدار الثقافة العربية.
20. الشافعي: ديوان الشافعي، تحقيق: محمد خفاجي، ط(2) 1985م، مكتب الكليات الأزهرية: القاهرة
21. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط(2) 1392هـ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
22. سميح عاطف: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، د.ط 1991م، دار الكتاب المصري: دار الكتاب اللبناني
23. سيد عبدالحميد: الإيمان والصحة النفسية، ط(1) 1994م، مكتبة وهبة: القاهرة.
24. عبد الرؤوف بن تاج العارفين: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط(1) 1356هـ، المكتبة التجارية الكبرى: مصر

25. عبد الله محمد الجيوسي: التعبير القرآني والدلالات النفسية، ط(1) 2006م، دار الغوثاني للدراسات القرآنية: دمشق
26. عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ط(8) د.ت، مكتبة الدعوة: شباب الأزهر.
27. عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، ط(7) 2001م، دار الشروق: القاهرة.
28. مالك بدري: الجوانب العاطفية في حياة الأنبياء، ط(1) 2021م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: هرندن
29. محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام، ط(3) 2005م، نهضة مصر للنشر والتوزيع: مصر.
30. محمد سرحان: مناهج البحث العلمي: ط (3) 2019، دار الكتب: صنعاء.
31. محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية، ط (10) 1993م، دار الشروق: القاهرة.
32. محمد مصطفى: الأربعون النفسية، ط(1) 2024م، مكتبة الأسرة العربية: اسطنبول.
33. محمد مصطفى: المدخل إلى علم النفس الإسلامي: ط(1) 2023م، مكتبة الأسرة العربية: اسطنبول.

الملاحق:

